الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أدب السجون في كتاب عالم السدود والقيود للعقاد

– دراسة موضوعاتية –

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقايس شهادة الماستر

إعداد الطالبة :

- بولبير أمال

إشراف الأستاذ:

- قواس نبيل

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الصفة
رقيق ميلود	أ.محاضر (ب)	رئيسا
قواس نبيل	أ.مساعد (أ)	مقررا ومشرفا
حمداوي فهيمة	أ. مساعد (أ)	مناقشا

السنة الجامعية : 2014 - 2015

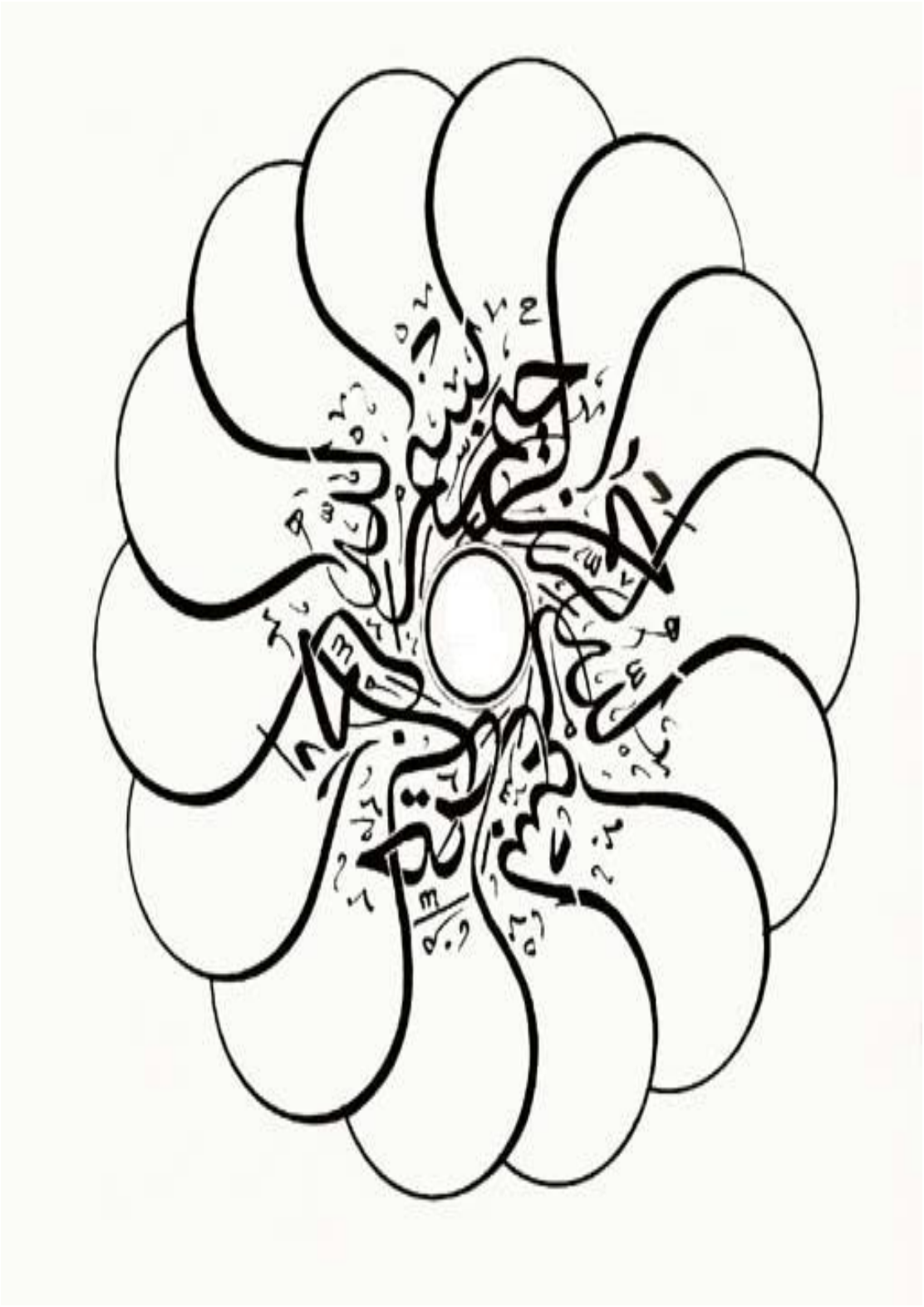

شـكـر وعرفـــــان :

بسم الله العظيم الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء والصلاة والسلام على اكمل خلق الله المعروف بالصدف والأمانة والوفاء اما بعد ابداء التحية من النفس الرضية بتحية الاسلام إلى جميع الإخوان الكرام فأقول للحاضر و الغائب السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و إني لأرجو بقلب صادق للكل أن تعمهم السعادة، البر و نسماته لإبداء ببطاقة الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الذي أعانني على مشقة البحث وزلات الزمان والدي بعلمه وتواضعه الى النور وجهني وبمحطات الخطاء عرفني وللصحيح الجهد الصواب ارشدني ارفع راية الامتنان و الشكر من طالبة سعت بكل صدق لسراج العلم و الخير لأقول له كما قال الشاعر:

أقدم الشكر لأستاد علمني الطالب الحر للأستاذ كالولد

و كذلك كما يقول المثال:

من علمني حرفا صرت له عبدا

كما أمنح تحية تقدير إلى اللجنة المديرة و أقول لها جزاك الرحمن بالحسنى المنيرة راجيا من أعضاءها البررة أن يهدوني إلى عين الصحيح و يسقوا حديقتي مطرا كما لا أنسى إخواني الطلبة الذين قضيت معهم وقتا مليئا بالفرح في سبيل السنى والسناء و قطف زهور العلم المنيرة من حديقة السعي الغناء.

كما انصب حر جناني لنسمات الجامعة، التي هي مثابة منزلي و أهلي و درب الدرجات العالية الرافعة و مِقْوَلي لها شكرا و مليون شكر لن أنساك طوال حياتي و عمري وأنت الطول الذي بلغني معارج سماء العلم و النور، أنت الام الحنون للولد حاضنة وفي درب المجد ساعية كائنة كما لا انسى نفسي التى اتوجه لها بسرب من الدعاء والفلاح ومقالي لها كما قال الشاعر

يا نفسي كري على الأيام ضاربة إن الزمان حبيب الظلم و النكد

و أخيرا و فوق هذا و هؤلاء الذين احتواهم رحمٌ ليس كالرحم المعروف بل هو أوسع وأرحم وأقدر وأصدق لو يصدق لها ابناؤها، والساعين فيها و بها و لها إن شاء الأحد الصمد إنها بلدي و وطني و هوائي *الجزائر*

و حسن الختام سلام.

إهـــــــــداء

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين
أهدي هذا العمل إلى:

إلى من فارقني منذ سنين لكن حبه باق في قلبي و لن أنساه إلى أبي رحمه الله

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي
و من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود له من عرفت معها معنى الحياة

إلى من كان دعاءها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي إلى أغلى الأحبة

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب، و الحنان و التفاني .. إلى بسمة الحياة و سر الوجود
أمي الحبيبة.

إلى من أرى الأمل في عينه، و السعادة في ضحكته
إلى شعلة الذكاء و النور
إلى من أعانني بشعره و كتاباته طيلة مشواري الدراسي
أخي عمـــــــار.

إلى أخي و رفيق دربي و هذه الحياة بدونك لاشيء معك أكون أنا و بدونك أكون مثل أي شيء .. في نهاية مشواري أريد أن أشكرك على مواقفك النبيلة إلى من تطلعت لنجاحي
أخي هشـــــــام.

إلى حبيبات قلبي و ورود حياتي، و سندي في فرحي و آهاتي

إلى من تسعد بهن ساعاتي

إلى أخواتي.
إلى توأم روحي ورفيقة دربي .. إلى صاحبة القلب الطيب
إلى صديقتي سهـــــام.
إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي .. إلى من تحلين بالإخاء و تميزن بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهن سعدت ، و برفقتهن في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت

إلى كل صديقـــــــاتي.

مقدمـــة

مقدمـــــــــــة:

لطالما كان أدب السجون أدبا مميزا له جذور عميقة ضاربة في التاريخ، كيف لا و هو يصور، في كل فترة من فتراته، تجربة سجين، عبر، و لا يزال يخرج تلك المعاناة المريرة، في عبارات و ألفاظ نابعة من عمق نفسيته، فلولا هذا الأدب لما وصلتنا تلك الصيحات، و ذلك العذاب، الذي يعيشه السجين وراء القضبان، و كثير من الأسماء الأدبيـــة الـــلا معة، التي أبدعـــت في تصوير ذلـك العالم المظلم، و مختلف الأحداث، و المواقف التي بقيت راسخة في ذاكرة كل مجرب لهذه المحنة، و ما أشدها من قسوة حين يتحول السجن من وسيلة لردع الجريمة و ضمان سلامة و أمن المجتمع، إلى أداة و غاية في يد الحاكم، لإبعاد المعارضين و قمع أصواتهم، و عباس محمود العقاد، من بين هؤلاء الأدباء الذي استطاع، بفضل موهبته، و قدراته الإ بداعية في الكتابة، أن ينقل إلينا تجربته السجنية، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

هذا الأخير، كان سبب طرح الإشكالية: ما هو أدب السجون؟ و كيف عالجه العقاد في كتاب *عالم السدود و القيود*، الذي يدخل تحت مظلة أدب السجون في العصر الحديث، بعث فينا رغبة و حافزا، في الكشف عن كيفية تجسيد هذا الأدب، أما المنهج الذي اعتمدناه فهو المنهج الموضوعاتي، لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك و كذلك لأننا بصدد تحليل موضوعات الكتاب.

أما هيكل البحث، فينقسم إلى مدخل و فصلين، فصل نظري و آخر تطبيقي، أما المدخل فخصص لعباس محمود العقاد، و فيه تطرقت إلى تقديم نبذة عن حياته، و آراء النقاد في أدبه، و العقاد قبل، أثناء السجن و بعده.

أما الفصـل الأول فكان عنوانـــه: حول أدب السجـــون، و من خلاله تناولنا مفهوم السجـــن لغةً، و اصطلاحا و كذا ظاهرة السجن في الأدب العربي(التطور)، و فيه تطرقنا إلى المراحل التالية: (في العصر الجاهلي، في عصر صدر الإسلام و الأموي، في العصرالحديث) كما تطرقنا إلى أهم موضوعاته، و هي: الشوق، الحنين، الأمل، الرجاء، الشكوى و التذمر معتمدين في ذلك على عدة نماذج و شواهد، ثم انتقلنا إلى عنصر آخر تحت عنوان السجن فضاءا مكانيا، و مضمونه يدور حول كيفية تأثير السجن كمكان يقضي فيه السجين مدة زمنية معينة، من عمره، فيتألم حينا و يبدع حينا آخر.

ثم يأتي الفصل الثاني، و هو دراسة موضوعاتية لكتاب *عالم السدود و القيود* لـ: عباس محمود العقاد و فيه درسنا موضوعات الكتاب شارحين في ذلك مضمونها و الأبعاد التي يرمي إليها العقاد، و أهم أفكاره و وجهات نظره، و كيف أثر السجن في حياته من الناحيتين النفسية و الأدبية، و قبل هذا اعتمدنا على قراءة عامة في الكتاب، و سبب تأليفه، لكي يتيسر فهم موضوعات الكتاب.

أما الخاتمة فكانت خلاصة لأهم النتائج المتوصل إليها، كما أنه لا بد من كلمة حق تقال، و موقف صارم يعلن في حق سجين مظلوم اكتوى بنار الألم، و عاش مرارة السجن، و تجدر الإشارة أن البحث قد استأنس ببعض الدراسات و البحوث منها: شعر السجون في الأدب العربي الحديث لسالم المعوش، المشاهير و السجون لصالح الخراشي و غيرها من المراجع التي تظهر على هوامش الصفحات.

و في الختام أتقدم بجزيل الشكر للأستاد الفاضل، المشرف و الموجه : قواس نبيل الدي شرفني في احتضان هدا البحث و رعايته، كما أشكره على نصائحه و توجيهاته القويمة، فجزاه الله خير جزاء، و أرجو أن نكون قد وفقنا في إنجاز هدا العمل المتواضع رغم بعض الصعوبات التي واجهتنا كقلة المراجع، و صعوبة الوصول إليها، خاصة في النثر، لدا نرجو من الباحثين دراسة هدا الموضوع من زوايا أخرى.

و من الله نستمد العون و السداد، إنه سميع مجيب.

مدخـــل

عبـــاس محمـــود الـــعقاد:

أ) نبذة عن حياته :

هو عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، ولد في 1889 بأسوان في بيت ريفي لا يختلف عن بيوت الأسوانيين في شيء، ولد لأبوين مصريين عاديين، الوالد موظف، و الوالدة سيدة لا تعرف القراءة، و الكتابة، درس مرحلته الابتدائية في أسوان، و ظهرت عليه علامات النبوغ في مرحلة مبكرة من عمره إذ يقول في كتابه أنا « و كنت أخف إلى المسجد بعض الوقت أنشد على المئذنة أناشيد الجمعة الأولى، و ظللت أنشدها بعد ذلك وأنظمها، ولا أذكر للمؤذن أني نظمتها لئلا يستصغرها، ويرفض إنشادها...»[1]

« و تذهب به همته العالية، و ذكاؤه الشديد إلى تحرير صحيفة و هو مازال في الثانية عشر من عمره، و سماها « التلميذ » معارضا صحيفة عبد الله النديم المندرجة تحت عنوان « الأستاذ » و يعارضه في أشهر مقالاته و هي « لو كنتم مثلنا لفعلتم مثلنا » فيجعل العقاد افتتاحية مقاله « لو كلنا مثلكم ما فعلنا مثلكم » و هكذا يظهر العقاد الكاتب و الأديب منذ صغره، و قد التحق بالمدرسة، و هو في سن أعلى انقطع عن الدراسة، وهو في الرابعة عشر من عمره، و لم يكن هناك مدارس إعدادية في أسوان، لذا لم يكن هناك خيار أمامه سوى العمل فعمل مدرسا في جمعية خيرية لتعليم الفقراء في أسوان، و كان مديرها علي فهمي، من أصدقاء العقاد، ثم لم يلبث طويلا ليطلب في الوظيفة الحكومية، فلم يتردد العقاد في قبول الوظيفة».

و في عام 1905 حضر إلى القاهرة لإجراء الفحص الطبي لتثبيته في الوظيفة، و قد اغتنم هذه الفرصة فزار المقتطف، و التقى بالفيلسوف يعقوب صروف، فكان ذالك بداية لعلاقاته بأهل الفكر، و المعرفة و في هذه السنة نظم قصيدته :

« ذكراني نعيمها ذكراني ..... حبذا لو علمتها ما أعاني »

إذ يصور فيها شوقه لأسوان، و قام بطبع القصيدة، و توزيعها على زملائه، و قد عانى العقاد في هذه الوظيفة لجهل المسؤولين و خيانتهم ليستقيل منها سنة 1907 بعد أن كتب مقالا بعنوان « الوظيفة رق القرن العشرين » و نشره في صحيفة الجريدة.

و كان العقاد في هذه الفترة كثير التردد على مكاتب القاهرة لغرض اقتناء الكتب، و قد كان أيضا يكتب مقالات في صحف كثيرة لكنه لم يكن موظفا فيها، لتلقى مقالاته استحسانا كبيرا فيدعى للعمل في

(1) عباس محمود العقاد، بقلم الطاهر الطناحي، دار الكتب اللبناني، بيروت، المجلد 2، ط1، 1982، ص55.

صحيفة الدستور يوم السبت 16 تشرين الثاني 1905 و كان محررها فريد وجدي ليشكل العقاد فيما بعد نصفها، و فريد وجدي نصفها الثاني، و في هذه الوظيفة كتب عدة مقالات من بينها :« المرأة الساقطة »، « مقارنة بين الفتح الإسلامي و الاستعمار الأوربي، و الإنجليزي في مصر » و في العدد الثالث مقال بعنوان « الاستقلال سهل المنال » ثم مقالات ذات صبغة أدبية مثل : « المعري الشاعر الفيلسوف » و « صريع الغواني »، و خلال عمله في هذه الجريدة تعرف إلى صديق عمره المازني الذي كان يتردد كثيرا على الجريدة .... »[1]

حيث هاجم العقاد في هذه الجريدة الكثير من رجال السياسة مثل مصطفى كامل، و موقفه من سياسة سعد زغلول التعليمية و ما بين عامي 1909 و 1913 عانى العقاد كثيرا، و لم تكن حالته المادية مستقرة أبدا ليعود إلى أسوان، و يعيش حالة من اليأس و الاكتئاب، ثم قرر بعد ذالك العودة إلى القاهرة سنة 1912، و البحث عن عمل ليعمل في مجلة البيان للبرقوقي، و لما أعجب البرقوقي صاحب المجلة بكتابات العقاد، و أخبر محمد المويلحي عن ذلك فدعا العقاد إلى العمل، في ديوان الأوقاف، الذي كان يضم بعض الأدباء، و الشعراء، و كان ديوان الأوقاف آنذاك ميدانا للصراع بين السلطة، و طلاب الإصلاح، ثم استقال العقاد من الصحافة ليعود إلى أسوان مرة أخرى عام 1916 « ففسح المجال لميولاته الأدبية بشكل أرحب، و من ثم أقبل العقاد يعب من فنون البيان، و مناحي الثقافة ما ساغ له أن يعب ».[2]

فقد ألف العقاد، و أخرج في حياته ما يقارب 83 كتابا، في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، ففي الشعر له عدة دواوين:« ديوان يقظة الصبح – وهج الظهيرة أشباح – الأصيل – أشجان الليل » و نشر هذه الدواوين في ديوان واحد سماه باسمه، و أيضا ديوان هدية الكروان، وحي الأربعين، ما بعد الأعاصير، ما بعد البعد.

أما في النثر فله كتب كثيرة نذكر منها : ما يقال عن الإسلام، الفلسفة القرآنية، الإنسان في القرآن الكريم، المرأة في القرآن، التفكير فريضة إسلامية، ساعات بين الكتب ، مراجعات في الآداب و الفنون بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفات التي ألفها في مجال السير و التراجم مثل : عثمان بن عفان، الحسين أبو الشهداء، فاطمة الزهراء و الفاطميون، عمر بن العاص، حية المسيح، إبراهيم أبو الأنبياء

و غيرها...

(1) محمود نواف نصار، عباس محمود العقاد سيرة و نحية و تجسيد للعبقرية دار المعتز للنشر و التوزيع، ط1، 2010 ص20.19.18.

(2) إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة الأردن، 2003، ط1، ص56.

و هكذا جعل العقاد من مسيرة حياته أدبا و كتابة، و إبداعا لا مثيل لهم، حتى و إن كان في هذه الفترة التي عاد فيها إلى أسوان قد خصص معظم وقته للكتابات الأدبية، إلا أن ذلك لم يمنعه من الكتابة و المشاركة، في القضايا السياسية المتعلقة بوطنه، لدرجة زجه في السجن عام 1930.

و قبل مرضه و وفاته بعدة أشهر كانت « أخر مؤلفاته كتاب *أنا* الذي يسرد فيه قصة حياته، و الذي نشر فيما بعد، إلى أن وافته المنية عام 1964، و دفن بأسوان. »[1]

و خلاصة لما ذكرناه فإننا مهما قلنا عن مسيرة هذا الأديب الكبير و الرجل السياسي المناضل، فإننا نبقى مجحفين في حقه لأن هذه الصفحات المعدودة، لن تكون كافية.

ب) العقاد قبل، أثناءالسجن و بعده:

و كما عرفنا قبلا عن السيرة الذاتية للعقاد، أنه كان كاتبا، و شاعرا و رجل سياسة أيضا فلطالما ثار، و ناضل على قضايا وطنه و شعبه، لاسترداد حقوقهم، و يقر دوما بفوضى الحكم، وهيمنة و سيطرة السلطة، لذلك كتب العقاد مقالات عديدة يوجه فيها اتهامه للقوى الرجعية، و ظلم السلطة بما فيها الملك فؤاد.

فكانت معظم المقالات التي كتبها منشورة في صحيفة المؤيد الجديدة و من بين هاته المقالات، المقال المعنون بـ:« الوزارة البريطانية و الأزمة المصرية الحاضرة، 9 أيلول 1930، و هو رد على مقال نشره المؤيد يوم 7 أيلول بعنوان : الوزارة الإنجليزية تعبث بالمصريين و هي آلة في يد المستعمرين ... لكاتب مجهول، و جاء في رد العقاد: - أن هذه الأزمة هي أزمة الرجعية قبل كل شيء، و الرجعيون أعداء الدستور كانوا يتهيؤون من زمن بعيد لإلغاء الحياة النيابية أو لإبقائها ناقصة مشلولة تمكنهم من الحكم كما كان الطغاة المستبدون يحكمون في القرون الوسطى.... »[2]

فالعقاد من خلال هذا المقال يوجه اتهامه الأول للرجعية، و يؤكد أن الرجعيين هم السبب الأول في تحطيم البلاد، لأنهم لم يحاربوا الإنجليز بل أرادوا أن يحكموا البلاد بإلغائهم العدل، و بقاء استبدادهم .

و في مقال آخر يظهر سب و شتم العقاد للرجعيين أو ضح، و هذا المقال تحت عنوان: « الرجعيون، و الإنجليز المحليون 14 أيلول 1930، فيقول عن الرجعية: « فالرجعية آثمة مصرة على إثمها، ما ضنه فيه من زمن بعيد لا يثنيها عنه شقاء هذه الأزمة، و لا ما تبتل به من الشدة،

(1) صلاح الدين محمد عبد التواب، مدارس الشعر العربي، في العصر الحديث، دار الكتب الحديثة مصر، القاهرة، د ط 2005 ص61.
(2) نواف نصار، عباس محمود العقاد سيرة و تحية، وتجسيد للعبقري، دار المعتز، عمان، ط1، 2010، ص57.

و الخرابة، بل هي تنتهز هذه الفرصة لتضرب ضربتها فتزيد الأمة شدة على شدة، و خراب على خراب...»[1]

و لقد أوردنا هذان المقالات فقط لكي نقدم ما أراده العقاد طيلة مشواره السياسي، و ماهية أسباب نضاله، و ثوراته على السلطة، ونظام الحكم، و لا يمكننا إيراد مجمل المقالات لأنها كثيرة، و الأوراق لا تكفي لعرض المشوار السياسي لهذا الرجل الفذ الذي لا يعرف الخوف، و لا العواقب، و هكذا استمر في موقفه و تنديده، و استنكاره للوضع حتى حوكم العقاد سنة 1930 بتهمة العيب في الذات الملكية، فلقي هذا الأديب و السياسي العملاق عقوبة و لا أشد منها عقابا وانتقاما، فهو لم يرتكب جريمة يستحق عليها السجن، و الذين ثاروا ضده ما أرادوا شيـــئا غير الانتقـــام والتهديد، لأنهم يرون في العقاد خطرا عليهم و على مستقبل حكمهم و بعد النظر في قضيته حكم عليه بالسجن لمدة تسعة شهور في سجن مصر العمومي.

و دخل العقاد السجن، و بدأت المعاناة، و العذاب، فيصف لنا الزنزانة التي اعتقل فيها بقوله: « و كانت زنزانة السجن التي اعتقلت فيها على مقربة من أحواض الماء الشديدة الرطوبة، و البـــرودة، و يحيط بها الإسمنت من أسفلها إلى أعلاها، و لا تدخلها الشمس....»[2]

و هذا ما يؤكد أن العقاد لم يعان معاناة نفسية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى معاناته جسديا أيضا، بما في ذلك شدة برودة الزنزانة، و رطوبة المكان، و هذا مايزيد عذاب العقاد، و تعبه، فكان ذلك سببا في مرضه فيخبرنا عن طبيعة مرضـــه يقول: « أصبت في السجـن بنزلة حنجرية حادة حرمتني النوم، و سلبتني الراحة ...»[3]

و بعد اشتداد المرض عليه نقل العقاد إلى مستشفى السجن لتعرض حالته على الطبيب لعله يعثر له على دواء يسكن ألمه، و يخفف عذابه « إلا أنه ما لبث أن طلب إعادته إلى السجن غير محتمل ظروف المستشفى و سماع أنين المرضى »[4]

لذلك عدت شخصية العقاد شخصية مميزة و منفردة، فكيف لا و هو الذي تحمل معاناة المرض لكنه لم يتحمل، و لم يرض البقاء في المستشفى حيث يسمع أنين المرضى، فهو رجل معروف بشخصيته القوية، و همته العالية، متعود على جو الهدوء، و السكينة، و مكوثه في المستشفى ليلة

(1) عباس محمود العقاد، السيرة الذاتية (أنا حياة قلم)، دار الكتب اللبنانية بيروت، المجلد 22،ط1، 1982، ص60.59.

(2) نفسه ص 30.

(3) نفسه ص 30.

(4) نواف نصار، عباس محمود العقاد، سيرة و تحية، و تجسيد للعبقرية، ص 100.

واحــدة، أكبــر دليل علـى ذلك، و لكن و رغم كل تلك المعانـاة و المرض الشديد إلا أن نفس العقاد المبدعة تظهر في كل مرة و لا يمكن أن تختفي بأي حال من الأحوال، « و في السجن استطاع العقاد أن يدرس ابن الرومي، فأصدر كتابا يسمى: ابن الرومي، حياته و شعره »[1]

و هكذا استمر تواجد العقاد في السجن إلى غاية يوم 8 تموز 1931 « أفرج عنه، بعد انقضـاء مدة 9 أشهـر سجنا، و لم يفــت السجن في عزم العقاد، فاستمرفي نشر المقالات مهاجما إسماعيـل صدقى، و حكمه الإرهابي»[2]

فكما هو ظاهر أن السجن زاد العقاد قوة و عزيمة، وهمة، انطلق في الكتابة، و الإبداع قدما، و ما زالت القضية الوطنيـــــة من أولى اهتمــاماته، ليكتب فيها مقالات عديدة أظهر فيــها عداءه للسلــطة

و دفاعه عن مصالح شعبه، و لم يتأثر بتهديدات الأعداء، و لا تخويفهم بل رأى في موقفه أكبر حق يجب أن يقال.

ج) آراء النقاد في أدب العقاد:

يعتبر عباس محمود العقاد، من كبار الأدباء الذين ذاع صيتهم في العالم العربي، و في الغرب أيضا، فقد استطاع أن يخلق لنفسه اسما لامعا، يحتذى به في الكتابة، والإبداع و العمل المتواصل، و قليل أمثاله الذين يصنعون أنفسهم بأنفسهم، فكان عصاميا، في تكوينه الأدبي، و حياته كلها، ومتطلعا دوما إلى ما هو أفضل، و أرقى و نظرا لأهمية هذا الأديب الكبير، فقد كان مصدر اهتمام و جدال، فلقيت أثاره الأدبية إقبالا، و قراءة من قبل الجميع، و منهم النقاد فدرسوا مؤلفاته الكثيرة، و أصدروا بشأنها أراءا متنوعة، فكان الشعر أولى الآثار التي لفتت نظرهم إذ يقول طه حسين في شعر العقاد في حفل تكريم أقامه الوفد المصري « إني لا أؤمن في هذا العصر الحديث بشاعر كما أؤمن، بالعقاد أؤمن به وحده، لأنني أجد عند العقاد مال أجده عند غيره من الشعراء، لأني حين أسمع شعر العقاد، أو حين أخلو إلى شعر العقاد، فإني أسمع نفسي، أو أخلو إلى نفسي إنما أرى صورة قلبي، و صورة قلب الجيل الذي نعيش فيه، لأن العـقاد ليس مقلدا، و لا يستطيـع أن يكون مقلدا، و لو حاول التقليــد لفسدت شخصــيته، و شخصية العقاد فوق الفساد...»[3]

---

(1) نواف نصار،عباس محمود العقاد، سيرة و تحية، و تجسيد للعبقرية، ص 100.

(2) محمود السمرة، العقاد دراسة أدبية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2004، ص12.

(3) عماد علي الخطيب، في الأدب الحديث و نقده، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن،ط2009،1،ص49.50.

يظهر بوضوح أن طه حسين معجب أشد الإعجاب بشعر العقاد و شاعريته، و يضعه في المرتبة الأرقى حيث يرى، في شعره شيئا مميزا يجعله مختلفا عن الشعراء الآخرين، و ينفي عنه صفة التقليد بل يقر بقوة إبداعه، و مزامنة شعره لأحوال جيل عصره.

كل من قرأ شهادة و قول طه حسين عن العقاد يجزم، بأن العقاد، بالفعل شاعر مبدع و معترف به من قبل الجميع، لكننا إذا ما التفتنا، إلى نقد آخر، و نقاد آخرين لوجدنا رأيا مخالفا تماما ينفي كل تلك الإعترافات، و هذا ما نجده في قول مصطفى صادق الرافعي: « و أنت تقرأ شعر العقاد تجد فيه شيئين متباينين بل متناقضين: الأول بعض أبيات حسنة لا بأس بها، و الثاني: ألوف من الأبيات السخيفة، لا في المعنى و لا في الفن، يدل ذلك بلا شك أن الأبيات الحسنة مسروقة ... »[1]

نفهم من قول الرافعي أن شعر العقاد في مجمله تقليد، و هذا الرأي يناقض كليا ما قاله طه حسين، كما يؤكد الرافعي رأيه بالتأكيد على عدم قدرة العقاد على نظم الشعر و يرى أن القارئ لشعر يميز بوضوح، ذلك التقليد، لأن الأبيات المقلدة واضحة، فهي تبدو حسنة، و البقية من الأبيات لا معنى لها لأنها، و على حد قوله ليست من تأليف العقاد.

تتضارب الآراء، و تتصارع فيما بينها، نقاد يرون في العقاد ذلك الشاعر الذي يستحق، و بجدارة تسميته بالشاعر، لأن شعره يخضع لكل قوانين النظم المعروفة، كما أن شعره مميز عن غيره من الأشعار سواء في كيفية التعبير أو في المشاعر المعبر عنها.

و في المقابل نقاد، يقفون موقف المعارض، و المنكر و يرون في شعر العقاد سذاجة، و تقليدا لا غير، و لا يمكن تلقيبه بالشاعر.

و خلاصة لما أوردناه، و انطلاقا من هذين الموقفين المتعارضين قرأنا مقولة للعقاد ذاته، يجيب، كل من قال عنه أنه ليس بشاعر فيقول « إقرأوا المنشور، و لا تنظروا إلى الناشر» فالعقاد من خلال هاته الجملة يوجه كلامه للنقاد الذين نفوا عنه شاعريته، ويرى في تلك الآراء أنها مجرد انتقامات لأسباب شخصية، و ليست أراء نقدية تندرج ضمن النقد الأدبي، و يعرض عليهم قراءة مؤلفاته، مع عدم إدخال شخصه في ذلك، و هذا هو النقد على حقيقته، هذا من جانب الشعر، أما من جانب النثر، نجد أن أغلب القراء و الناقدين يرون في كتابات العقاد النثرية، إبداعا و قدرة على الإنتاج الغزير.

فيقول محمد مندور عن تلك الآثار: « بحيث لا تجد مفرا من أن تخطو بالموضوع خطوة أخرى نحو الصرف، و التحديد، فنخرج من حديثنا هذا كتب السير، و العبقريات التي ألفها العقاد كما نخرج

---

(1) مصطفى صادق الرافعي، على السفود (عباس محمود العقاد)، مقالات نشرت في مجلة (العصور) بين شهرين يوليو 1929، و يناير 1930، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،دط،1930، ص13.

دراساته الأدبية من حيث نتائج تلك السير، و الدراسات، من الناحية الثقافية، و مدى صلابة هذه النتائج... »[1]

ما يعني أن العقاد، و إلى جانب إنتاجه الغزير لمؤلفاته عن السير، و العبقريات، فهو يدرس، و يحلل، ليعطي نتائج قيمة لأنه ليس كاتبا، و شاعرا فحسب، بل هو ناقد أيضا، « لأنه معروف بصلابة نقده، و نظرته الفاحصة إلى كل ما يقرؤه من أثار المفكرين في الشرق، و الغرب، إذ كتب عن أمثال شكسبير، و برناردشو، و توماس هاردي، فإنه يكتب عن نظراء له ... »[2]

(1) محمد مندور، النقد و النقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشروالتوزيع ، 1997، ص64.

(2) محمد رجب البيومي، بين الأدب و النقد، الدار المصرية اللبنانية 1997، ط1، ص150.

الفصل الأول:

في أدب السجون

1) مفهوم السجن:

أ)- السجن لغـة:

إن مفهوم السجن في اللغة العربية موجود منذ القدم، حيث وردت مفردة السجن و الحجز، والحبس، في دواوين شعرية كثيرة، و مصنفات أدبية متنوعـة، كما سجلت هذه المفردات أيضا حضورا في معاجم اللغة العربيــة فنقرأ في معجم لسان العرب لابن منظور أحد الشروح التالية :

السجن: الحبس، السجن بالفتح: المصدر : سجنه، يسجنه، سجنا أي حبسه. والحبس: المحبس، و في بعض القراءة (قال ربي السجن أحب إلي) فمن كسر السين فهو مصدر سجنه سجنا. و السجان: صاحب السجـــن، و رجل سجين : مسجون، و كذلك الأنثى بغير هاء، و الجمع سجنـــاء و سجنى، و سجين: فعيل من السجن. و السجين: السجن »[1]

و في معجم القاموس المحيط نجد المعنى نفسه، فنقرأ في فصل السين، باب النون مايلي: سجنه: حبسه، و الهم لم يبثه. والسجن بالكسر: المحبس. وصاحبه سجان. والسجين، والمسجون: جمع سجناء، و سجنى، وهي سجينة، و سجينه، و مسجونه من سجنى، و سجائن »[2]

و بهذا يكون السجن، في مفهوم العرب مكان ذل، و عبوديته و السجن عندهم كان بمثابة الحيوان الضعيف القيد « فإذا قالوا ريق فلان في السجن، أرادوا به أنه آل إلى ذلة البهيمية المشدودة، من عنقها بحبل »[3]

و مما سبق نخلص إلى القول أن السجن في المعاجم العربية يأخذ معنى الحبس، و حجز الحرية، و التوقف عن العمل لسبب ما، و استعمله الشعراء العرب للدلالة إلى تلك الحالة فحين نتصفح دواوينهم تصادفنا كثيرا هذه المفردات مثل: سجن، قيد، حجز وحبس.

و من الشعراء العرب من أستخدم مصطلح السجن بمعنى الحبس، فنجد ذلك مثلا في قول: الشاعر الحتكم بن عيدل الأسدي وكان لمذا الأخير صديق أعمى يقال له أبو علية فسجنا معا، و هو في الأسر يقول :

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، 1963،ج7، ص131.

(2) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، دار الجيل بيروت، لبنان،1952،ج4، ص235.

(3) محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية، الخصائص الفنية، في سجن شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نوميديا للطباعة، والنشر قسنطينة،2009،ص16.

ب) السجن اصطلاحا:

وضع الإنسان منذ القديم أنظمة، و قوانين، تحكمه، و توجهه، لكي تردعه عن ارتكاب، أي سلوك مخالف يمس بنظام المجتمع الذي يعيش فيه، و بحقوقه كفرد يعيش في هذا المجتمع، لذلك كانت العقوبات صارمة لكل من حاول تعدي، و تجاوز هذه الأنظمة، و القوانين و يسمى هذا المكان الذي تتم فيه المعاقبة بـــ: « السجن »

و نظرا لأهميته، و دوره في تنظيم المجتمع قد شغل حديث الكثير من الأدباء و المفكرين، إذ يقول سالم المعوش أن « السجن مؤسسة دخل الحياة العامة، بدخول الأنظمة، و القوانين، و الدساتير المعلنة لحقوق الإنسان، و المحددة لواجباته...حيث أصبح الحديث عن نظام للعقوبات شائعا بين الناس لحمايتهم، و صون حقوقهم، من غوائل الفوضى، و الانحراف المتأتية من الممارسة السلبية لبعض الأفراد »[2]

انطلاقا، من هذا القول يبقى السجن، و الأسر، والحجز، و الحبس مفاهيم مرتبطة بالإنسان كفرد له حقوق، وعليه واجبات ومن بين هذه الحقوق الحرية إذ لكل إنسان حق في ممارسة حريته لأنها تغير مطلب أي إنسان في كل زمان، ومكان، إلا أن هذه النعمة يمكن أن يفقد متى وظفت في غير موضعها.

و كما هو معلوم أن السجن عالم مظلم، يعيش فيه السجين مدة من الزمن طويلة كانت أو قصيرة، إذ يتنقل إلى عالم جديد لم يعهده، عالم محدود تكاد تنعدم فيه الحياة، و في بعض الأحيان يمكن لهذا المكان المنغلق أن يدخله رجالا لم يرتكبون جرائم بعينها لذا يقول عباس محمود العقاد « السجن مكان لاعتقال الأسرى، أو المحكوم عليهم، بالموت، ثم أصبح مكانا للتخلص، من بعض المغضوب عليهم، أو الواقفين، في طريق ذوي السلطان... »[3]

يتضح من ذلك أن السجن مؤسسة عقابية تعمل على تنظيم المجتمع من خلال معاقبة المجرمين بحجزهم، و توقيفهم عن ممارسة حرياتهم إلا أن هذه المؤسسة يمكن أن تتخذ هدفا آخر غير الذي تحدثنا عنه فتصبح، وسيلة للانتقام، و إبعاد المعارضين خاصة في مجال السياسة فيعتبرونهم بمثابة حجرة تعطل طريقهم، و تعيقهم عن السير لبلوغ مبتغاهم.

---

(1) حسن نعيسة، شعراء وراء القضبان، دار الحقائق، للطباعة، والنشر بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص66.

(2) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث، و المعاصر دار النهضة العربية، د ط ذ، د ت، ص27.

(3) عباس محمود العقاد، عالم السدود والقبور، تحرير الحشاني حسن عبد الله منشورات المكتبة العصرية بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 109.

و انطلاقا، من كل هاته الأسباب، كان موضوع السجن، و لا يزال من أهم موضوعات الأدب العربي، فهو يمثل تجربة عاشها الأديب، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

2) ظاهرة السجن في الأدب العربي (التطور):

إن المتتبع لتاريخ الأدب العربي، يجده قد تناول ظاهرة السجن بشكل وافر في الشعر، فكان موضوعا ذا أهمية بالغة، و نظرا لورود هذه الظاهرة فقد كان السجن يمثل:« جانبا مهما من الجوانب التي عالجها الأدباء، و الشعراء و المفكرون، ولا يخلو أي عصر من العصور الأدبية من شعراء سجنو لأسباب مختلفة »[1]

و حديثنا هنا سيكون حول تطور ظاهرة السجن عبر العصور الأدبية، و سعة ورودها في الأدب العربي عامة و الشعر خاصة.

أ) في العصر الجاهلي:

إذا عدنا بأدراجنا إلى القديم لننقب في صفحات تاريخ الأدب العربي لاتضح لنا بشكل جلي ما يحمله هذا الأدب في طياته عن ظاهرة السجن و خاصة عن صور التعذيب، و الوحشية يقول عمر بوقرورة « السجن موجود منذ القديم إذ حملت إلينا الأشعار العربية الكثير من الصور الحية عن التعذيب، و الوحشية التي يتصف بها السجان، كما نقلت إلينا تجارب الشعراء الأحرار، و هم يعانون ألم السيط بين يدي الجلاد »[2]

و ما يلاحظ بعد دراسة هذه الظاهرة أن الجاهليين لم يملكوا سجنا بالمعنى الكامل، فهم كانوا يسجنون أسراهم حسب الظروف و طبيعتها، فكان ذلك إما خيمة، أو في دار خصصوها للسجن.

و إذا لم يتوفر لدى الجاهليين سجن بالمعنى المعروف فإن دلالته و مفهومه النفسي موجود، و قد برز ذلك في أشعار بعض السجناء كما سبق و أن ذكرنا، و الذين سجنوا لأسباب متباينة، و نذكر منها على سبيل المثال: الحروب، فيعتقل الشعراء، لأنهم كانوا بمثابة اللسان الناطق عن حال القبيلة، و موقفها، لذالك تعتبر أشعارهم بالغة الأهمية آنذاك، و يمكن أن نضيف سببا آخر، و يندرج في الحرب أيضا كوقوع الشعراء أسرى حرب بصفتهم محاربين.

---

(1) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر، ص47.

(2) عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، جامعة باتنة، ط1 ، 2001، ص83.

إضافة إلى أسباب أخرى تدخل ضمن قوانين الحياة العامة مثل: السرقة و السلب، و النهب و هذا سبب يعاقب عله المذنب بالسجن أيضا دون أن ننسى الأسباب السياسية و التي كانت موجودة لدى الحظر مثلما «حدث للشـــاعر عدي بن زيد الذي كان فارسا و سياسيا قربه الملك النعمان و أصهر إليه، ثم دار عليه و سجنه»[1]

و الكثير من هؤلاء الشعراء أظهــر يأسه و تذمره، من السجن، و نذكر منهم الشاعــر طرفة بن العبـد، إذ كتب لخولــة يقول:

ألا اعتـزليـني اليوم يا خـولة وغضي * فقـد نزلـــت حذبـــاء محكـمة العـــض**

أبا منــذر كانت غـرورا صـحيفتي * و لـــم أعطـكم بالطوع مـالــي و لا عرضـي**[2]

الشاعر هنا يخاطب محبوبته خولة، و يصر عليها أن تتركه، لأنه قد يأس الخروج من السجن، و يرى أن بقاءه فيه أمر أكيد.

«وكان العرب البدو يسجنون أسراهم، و منحرفيهم، لأن الخروج عن القوانين ظاهرة خطيرة و يعاقب عليها المرء شر عقاب فيأتي الإجبار على مغادرة القبيلة في أولها، والسجن ثانيها، والتعذيب ثالثها... »[3]

و مما سبق نخلص إلى القول أن السجن، وبوصفه ظاهرة، و تجربة جديدة على الأعرابي، إلا أن شعر أولئك المسجونين جاء محتويا على موضوعات عبرت بكل صدق عن كل ما يمكن أن يشعر به أي مسجون كالشكوى و الألم .

ب) في عصري صدر الإسلام، و الأموي:

تغيرت طبيعة الحياة، وظروفها في هذين العصرين ،وكانت لأسباب دخول السجن، أن تتغير أيضا، فإذا كانت في الجاهلية لا تخرج عن الحروب، و السلب و السرقة، وأسباب أخرى قد تم ذكرها لكن في هذه الفترة تغيرت الأمور وبدخول الإسلام، عرف السجن، مفهوم التنظيم والالتزام « خصوصا أن القرآن الكريم، قد أورد ذكر السجن في عدة مواضع واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في شكله البدائي، إلى أن توسع فيه الخليفتان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و الإمام علي كرم الله وجهه وإن

(1) حسن نعيسة، شعراء وراء القضبان، ص 25.
(2) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر، ص 48.
(3) طرفة بن العبد، الديوان، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، ص 53.

كان عصر الخلفاء الراشدين أكثر رحمة، و عدلا، من بقية العصور، فإنه وضع اللبنات الأساسية لمفهوم السجن، الأمر الذي جعل الحكام اللاحقين يحولونه إلى مؤسسة عقابية مختلفة الأشكال»[1]

بمعنى أنه، وبفضل الإسلام، تحول السجن إلى مؤسسة عقابية لها نظامها و ضوابطها، ولا يدخلها إلامن يستحق العقاب، لذلك لم تكن الحاجة إلى السجون ضرورية، إلا في المخالفات التي لم تجد الشريعة لها حدا. وقد كانت الخمر سببا مهما لدخول السجن، في صدر الإسلام، وكثيرة هي الأمثلة على ذلك، فنذكر منها : أبو محجن الثقفي الذي سجنه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و ذلك بعد تحذيره مرات عدة.

وفي عصر بني أمية، الذي انتشرت فيه الزندقة، و الشعوبية، و التعصب، و التمرد، و نماذج كثيرة من الشعراء الذين أدخلوا السجن بسبب، المذهبية أمثال : الشاعر إسماعيل بن سيار الذي كان، من أتباع الخوارج، و قد قام بعدة نشاطات تدل على انتمائه، لهذا المذهب، فسجن، لهذا السبب، و هو في الأسر يقول :

تـــمسكوا بالـــذي امتسكـــت بـــه * فـــإن خيـــر الإخـــوان مـــن وصـــلا[2]**

يظهر أن الشاعر شديد التمسك بمذهبه، فرغم أنه في السجن إلا أنه لم يتراجع، و لم يكف، على الدعوة إلى التمسك بمذهبه، و هكذا عرفنا، أن ظاهرة السجن، في عصري صدر الإسلام، و الأموي أخذت أبعادا جديدة غير ما كانت عليه في العصر الجاهلي، و هذا طبيعي جدا، لأن دخول الإسلام، أعطى للحياة معنى آخر، و مغاير و تغيرت نظرة الإنسان للأمور، فإن كان الشعراء قبلا يسجنون لأسباب حربية، و سياسية، و اجتماعية، فإنه، و في هذين العصرين الإسلامي و الأموي، يقع أسيرا كلما قال ما يخالف الدين، و الشريعة الإسلامية. وهذا سبب جديد يضاف إلى تلك الأسباب التي ذكرناها في الفترة الجاهلية .

ج) في العصر العباسي :

تطورت مؤسسة السجن في العصر العباسي، و ذلك من خلال تنظيمها بحيث أن أصبحت مؤسسة عقابية، مكتسبة المزيد من الضوابط، و القوانين « و ما يقرأ من أدب السجون يدل دلالة واضحة على تبلور بعض المفاهيم السياسية، و الإجتماعية ففي بدء هذا العصر شمل الإرهاب السياسي بعض جهات كان لها في هذا الحقل خطوات كبيرة، فقد لفت السجون و قت ذاك كثيرا من أعيان العلويين البلغاء، و

(1) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر ص 48-49.
(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، تحقيق و إشراف لجنة من الأدب بيروت، لبنان،ط 6، 1983، ج 15 ص 382.

آدابهم، و ذوي الشأن، فكان مفروضا أن تجد في هذا الفن (شعر السجون) بعض التموج، و يطرأ عليه التركيز... و الدارس للأحوال العامة في هذا العصر يجد المسوغات العديدة لنمو ظاهرة شعر السجن، فهو خلال تطوره، لم يخلو أبدا من الحروب، القمع، الثورة و التمرد، و هذه الأخيرة، بدورها لم تخلو من شعراء أيدوها فزج بهم في الأسر »[1]

انطلاقا من هذا القول نستنتج أن السياسة في العصر العباسي شديدة الالتصاق بالأدب و كما نعلم أن الفترة شهدت الكثير من المتمردين و المنحرفين عن السياسة، ومن الشعراء من أيدهم فكان مصيرهم السجن، لذلك كانت كل العيون على الأدباء، و البلغاء آنذاك و ما يقولونه جد مهم.

و الملاحظ أن معظم الشعراء، و الأدباء الذين سجنو في هذه الفترة كان بسبب ما قالوه عن السلاطين، سواء كان مدحا و شكرا، أو كان هجاءا وسبا، فكان الشاعر ضحية الصراعات السياسية و كثيرة هي الأمثلة على ذلك مثل ما وقع للشاعر علي بن الجهم، و الذي زج به في السجن مرات عديدة بسبب حديثه عن السلطان.

و خلاصة لما تقدم ذكره، فإنه يمكن لنا القول أن تطور الأدب في هذا العصر انتقل أثره إلى شعر السجن، و خاصة من جانب تعقيم الموضوعات، فكان للسجن دورا كبيرا في رفع، وارتقاء مستوى نظرة الشاعر، فعبر عن تجربة مأسوية، بكل صدق، و إحساس عميق.

د) في العصر الحديث:

ظلت مؤسسة السجن في العصر الحديث مكانا مخصصا للعقاب، وردع الجرائم، و المخالفات، و لا يخلو الأدب العربي الحديث، من أدباء سجنو للأسباب نفسها و التي ذكرناها، في الشعر العربي القديم، فالأسباب دائما متنوعة، و متعددة، من فرد إلى أخر، لأن كل من دخل السجن له سبب خاص به، و يمكن أن نقرأ في مقالات الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير جريدة اللواء في مصر، إذ دخل السجن بسبب إلقاءه لمحاضرة دون إستأذان الحكومة، و هو في السجن كتب عدة مقالات إلى جريدته فيقول : « إنني أدرك أنه يجب على كل إنسان، أن يحب موطنه أكثر من حبه لوالديه، و أولاده، و كل شيء أخر، إنني أعلم أنه يجب الإجتهاد بإقناع الموطن بالحق و إذا لم يقتنع فيجب الإذعان لأمره وهكذا فعلت ففضلا عن أنني لم أدافع عن ذاتي رأيت قصاصي قليلا، و ليس هذا بقصاص، بل هو سرور، و هناء، و ليس من شأنه إلا إثارة غيرتي و تكثير حكمتي، و منفعتي »[2]

(1) سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر ص 49.
(2) سليمان بن صالح الخراشي (اعتنى بنشرها)، (قدم لما) عائض بن عبد الله القرني، المشاهير و السجون (مجموعة مقالات قديمة نشرت في مجلة الهلال، دار الأثير، السعودية، ط 1، 2003، ص88.

يظهر أن الأديب شديد التعلق بوطنه، و يعترف أنه مستعد للتضحية في سبيله، و أنه يجب على كل إنسان أن يفعل ما فعل، وهذا الإذعان للوطن يعتبره شعور بالسرور، و زيادة الغيرة، و المنفعة.

و تبقى السياسة من أولى الأسباب، في دخول العديد من الأدباء في السجن في العصر الحديث، فنذكر منهم على سبيل المثال : محمد فريد المصري التوفي أخيرا، و الذي كتب مقدمة حماسته لكتاب (وطني) فحكم عليه بالسجن سنة (1911).

ففي هذه الفترة كل أديب، أو شاعر، ألف، أو نظم، مالا يرضي السلطة كانت خاتمته السجن لا محال، و المعروف عن هؤلاء الشعراء، و الأدباء الدين سجنوا في أغليهم لأسباب سياسية أنهم متمسكون بما قالوه، وهم في ذلك، ليهابون سلطانا، و لا سجانا.

لأنهم يرون في أرائهم حكمة، و حرية في التعبير، و كلهم قناعة و إرادة، فمنهم مثلا : سليم عنحوري شاعر الفيحاء الشهير إذوشى بعضهم أنه يعرض بأديب بيروت، و كانت بينهما مناقشة سابقة، فحكم عليه بالسجن، وله العديد من القصائد، و هو مسجون فكان شديد الهمة، و قوى العزيمة، وهو الذي يقول في إحدى قصائده:

مـــا كنـــــت أول طائـــر متـرنـــم * حـــبسوه فـــي الأقفـــاص للتـــغريـــد**

إن يحبسوا شخصي الضئيل فخاطـري * فـي الجو أو فـي البحر أو فـــي البيـــد**

متـــجولا متحفـــــزا متربـــــــــعا * بيـــن الصــــــوارم والطلــــــي و الغيـد**

لـــي الهمـــة الشمـاء لا تثـــني الطيـــني * عزمـــتاهـــا عـــن فعـــل كــــــل حمـــيد[1]**

فالشاعر من خلال هذه الأبيات واضح جدا أنه مقتنع في داخله أنه مظلوم، وليس الأول من المظلومين، و يؤكد لخصمه أن السجن لن يمنعه من قول ما يريد.

و ما يزيد الأمر تعقيدا، هو أن ارتباط السياسة بالسجن في هذا العصر تمنح للسجن معنا أخر، غير ما كانت تعنيه في العصور السابقة، بارتباطه بسلب الحرية، و الحرمان منها، وذلك لغاية ردع الجرائم، و المخالفات،، بل أصبح بمثابة مكان مخصص للتعذيب، و الترهيب، و الانتقام، لأن هؤلاء المساجين لم يرتكبوا جرائم يستحقون العقاب عليها، بل هم بمثابة منا ظلين، و مستنكرين لوضع سياسي ما .

و في هذا العصر، نجد أن المستعمر قد اتخذ هذه المؤسسات العقابية كوسيلة فعالة لتكميم أفواه المناضلين، وقمع أصواتهم لأنها تحرض على الثورة، والأديب في هذه الفترة كان مصدر اهتمام من قبل

(1) سليمان بن صالح الخراشي، عائض بن عبد الله القرني، المشاهير و السجون ص 87.

السلطات، والسياسيين، لذالك نجد الكثير من الأدباء والشعراء سجنوا في هذه الفترة منهم : أحمد سحنون و مفدي زكرياء، و البارودي، و كم هم كثر الذين سلبت حريتهم في سبيل كلمة حق نطقوها لأنهم لم يرضوا الذل، والعبودية فكان كفاحهم بالقلم المبدع المعبر عن مطالب شعبهم المحروم.

و مما سبق نخلص إلى القول أن ظاهرة السجن في العصور الأدبية التي تحدثنا عنها كأن لها نصيب كبير في الأدب، و خاصة الشعر فحضي شعر هؤلاء المسجونين بالإهتمام، و بالإعجاب من قبل القراء لأنها كلمات عبرت عن معاناة حقيقية و عذاب شديد، فأبدعوا بكل صدق، و إحساس .

3) موضوعات أدب السجون:

أ) الشوق والحنين:

إن عاطفتي الشوق، والحنين لدى السجين طبيعيتان جدا، لأنه وببساطة وجد نفسه فجأة وحيدا بين أربعة جدران في غربة قاتلة، يحن إلى وطنه، و يشتاق إلى أهله، و خلانه الذين أبعد عنهم.

و كيف يكون الوضع حيث يتعلق الأمر بسجين مرهف الحس، فائض المشاعر و الأحاسيس، والعواطف حتى وإن قيد جسدا ، إلى أن نفسه وروحه المبدعة، تضل تبحث عن عبارات وأبيات، تخرجهما من تلك الوحدة « و في أعماق السجون فاضت قرائح هؤلاء الشعراء بغر القصائد التي خلدت أبدا، لما فيها من معانات سجنية لا تنضب، فعبرت عن لواعج الشوق، والحنين من وراء الأسوار، إلى أم تنتظر عودة الغائب، أو أخ يأمل، أو صديق يرقب»[1]

إن الشوق معاناة، و مأساة تقتل النفس، لأن الأهل، و الأحباب أساس السعادة، فبوجودهم تحلى الحياة، تسعد النفس برفقتهم و تتشارك معهم أمور الحياة حلوها و مرها، و متى تم فقدانهم عانت النفس و ذاقت ألام الوحدة، و الغربة، و نفس الحديث يقال عن الوطن، فهو مصدر الاستقرار، و الطمأنينة فعندما يعيش الإنسان بعيدا عن موطنه، ازداد حرقة، و حنينا لربوعه و حلما بالعودة إليه مجددا، و عدم مفارقته مدى الحياة.

و هاهو الشاعر مفدي زكرياء من بين ألاف الشعراء و الكتاب المبدعين الذين كتبوا، و نظموا في الشعر خاصة، أجمل القصائد، و أروع الأبيات التي نقلت إلينا بحق تعب نفس الشاعر المسجون، و شدة سيطرة الحزن و الكآبة عليه، نلمس كل هاته المعانات حيث نقرأ لهم ما كتبوا بأناملهم المبدعة، فمفدي زكرياء في قصيدته هذه يصف مدى شوقه إلى وطنه الجزائر بعدما وقع أسيرا فيقول :

جزائر مهما باعد الخطب بيننا تباكرني النجوى و تهفو بي الذكرى

(1)حسن نعيسة، شعراء وراء القضبان،ص 10.

حنيني إلى القصباء هاج مدافعي وشوقي إلى بلكور أفـــقدني الصـبر

وفي حي باب الواد ماضي صبابتي تركت بباب الواد من كبدي شطرا [1]

و تظهر في هاته الأبيات حرقة الشاعر على وطنه حيث ذكر معظم المناطق التي كان بها، و التي يتمنى أن يزورها، و يعود إليها في أقرب وقت.

بالإضـافة إلى الكثير من الشعـراء الذين وصفوا شوقهـم إلى أهليهم، و خلانهم، و وصفوا مرارة البعد و الفراق.

و خلاصة القول أن ظاهرة الأشـواق، والحنيـن طبيعية في أدب السجون نظرا لحياة الغربة القاتلة و الوحدة الموحشة، و الألم المحيط بالأديب و الشاعر، فهذه الأشواق أظهرت ما تخفيه نفس الشاعر من ألم و حرمان و عمق تجربة.

ب) الأمل والرجاء:

يعيش الأديب السجين في حالة نفسية متدهورة يحزن و ييأس ثم يعود، و يأمل من جديد في غد مشرق، يصبح فيه حرا كما كان لأن « الأمل هو العنصر الوحيد الذي يتحلى به الغريب كي يعيش لحظات الطمأنينة، يعبر إلى شاطئ الأمان، و هو قوة نفسية ترفدها القيم الدينية و الإنسانية، و تصل قلب الشاعر بقوة الغيب التي هي فوق القوى جميعا، فتستمد منها ثباتا مكينا، و قوام الرجاء الإيمان بتغيير مجرى الأحداث المتوقعة تغييرا فجائيا و هو منطق تقره طبيعة الأحداث نفسها التي تبدوا للشاعر خارجة عن إرادة البشر »[2]

إن الإحساس بالأمل، و الرجاء شعور إنساني جميل يتحلى به كل من أصابه سوء فيجعله هذا الإحساس قويا لا يستسلم للحاضر، و يفكر دوما في غد أفضل.

« كما أن الأمل و الرجاء من صفات الرسل، و من اقتفى أثرهم من أولائك الصابرين، على ما أصابهم من محن و شدائد و كلاهما عند شعراء السجون، و المعتقلات من المواضيع التي أكثروا فيها النظم و لا سيما عندما يشعرون بتفاقم الأوضاع و تأزمها »[3]

---

(1) مفدي زكرياء، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983،ص152
(2) عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص98 .99.

(3) يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجون والمعتقلات في الجزائر، 1962/1954 جامعة باتنة 2010/2009، (رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوره في الأدب العربي). ص140.

و كثير من الشعراء من ضل متمسكا بخيط الأمل، و راجيا من الخالق أن يفك أسره، و يعيده إلى الحرية التي أصبحت هاجسه الأول، و الوحيد.

و للبارودي أبيات عديدة تدور حول معاناته و هو أسير و بعيد عن وطنه، لكن لا يلبث هذا التشاؤم طويلا حتى يعود بريق الأمل و ينير تلك الظلمة الموحشة بين أربعة جدران، و يقول في إحدى قصائده :

و لا وربك ما وجدي بمندرس على البعاد، و لا صبري بمطواع

لكنني مالك حزمي و منتظر أمرا من الله يشفي برح أوجاعي

فإن يكن ساءني دهري و غادرني رهن الأسى بين جدب بعد إمراع

فإن في مصر إخوانا يسرهم قربي و يعجبهم نظمي و إبداعي[1]

إن البارودي في هاته الأبيات يحاول أن يبقى متمسك بقدرة الله، و إرادته، بأمل أن يتحرر و يعود إلى وطنه، و يقول لنفسه، رغم كل هذه المعاناة، و العذاب إلا أن شعري يبقى كخيط وصل بيني و بين إخواني في مصر.

و بناء عليه يمكن القول أن الأمل، و الرجاء مستوطنان في نفس كل إنسان مادام فيه نفس الحياة، لأنه و مهما ضاقت الحياة وانغلقت أبوابها، يبقى الأمل في الله موجودا، و لا ينتهي، وكل سجين مهما طال به الزمن في الأسر يحيا بفضل ذلك الأمل.

ج) الشكوى و التذمر:

طبيعة الجو في الأسر تجعل الأديب المسجون يتذمر، و يشكو الحال التي وصل إليها، إذ إنه لا يكفيه الحجز و القيد، و المعاناة بين أربعة جدران، بل يتعدى ذلك إلى سوء المعاملة، و وضاعة السجان حيث يعامل المسجونين بقساوة و تعذيب قاتلين، و هذا ما تبين جليا من خلال الدراسة التاريخية لظاهرة السجن في الأدب العربي عبر العصور، ففي العصر الجاهلي كانت تقام اشد العقوبات، و أبشعها على السجين إلى حد الموت أحيانا، و هذا مايجعل الأديب السجين يصف حاله، و يشكو معاناته، لأنه ربما بالتعبير يرتاح، و يهدأ و لهذا يقول يوسف العايب: « أن حياة السجين، و ما تحمله من مآس، و آلام جسدية و اضطراب فكري، و روحي، و غربة، و فقدان حرية تؤجج في صاحبها الكثير من مشاعر القلق، و الوحدة و السأم ، و الإغتراب الروحي، فتتشابه الأوهام، و الهواجس و تختلط عنده الحقيقة بالخيال، و يساوره شعور المكبل غير القادر على أداء واجباته تجاه أهله، و أقاربه و ذريته، و أبناء وطنه، و يخيم عليه الشعور بالنقص و عندما يلجأ الشاعر إلى الإفصاح عن مشاعره ، و تصوير حاله،

(1) محمود سامي البارودي ، الديوان ، تحقيق و شرح علي الحارم محمد شفيق معروف ، دار العودة، بيروت، ص54.

فإنه يشكو ضعفه، و قلة حيلته حيال هذا البلاء الذي أصابه علـه بذلك يقلل من حدة هذا الشعور الذي ينتابه، و من حدة الألم والعذاب»[1]

فالشاعر السجين يترجم عذابه إلى شعر، ليوصل معاناته إلى الناس، ويصور الحالة التي وصل إليها من ذل وهوان، و كثيرهم الشعراء الذين كتبوا شعرهم وهم تحت ألم العذاب يشكون معاناتهم، وقلة حيلتهم فها هو المتنبي في قصيدته هذه ينقل معاناته إلى سيف الدولة لعله يسمع ألمه، وعذابه النفسي والجسدي من خلال قراءته لتلك الأبيات التي كتبها إليه فيقول:

أمـــالك رقي، و من شأنه هبـات اللجين، و عتق العبيد

دعوتك عند انقطاع الرجاء و الموت مني كحبل الوريد

و قد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود[2]

و خلاصة ما يمكننا قوله إن الشكوى تبقى ملجأ الشاعر السجين ليخفف الألم، و العذاب، فهو يعيش في حالة انكسار، و ذل، و تمزق نفسي، كما إن هذا الاعتراف حقيقة إنسانية لا مفر منها، فالشاعر يعاني، و من خلال اعترافه يجعلنا نحس بما يحس و يتألم، و ندرك خطورة الموقف الذي يعيشه.

و هذه الموضوعات التي أوردناها تشكل أبرز ما يمكن أن يعبر عنه الأديب، و الشاعر السجين بين أربعة جدران حيث لا تجد أنيسا، و لا رفيقا غير قلمه الذي استطاع به أن يخفف من معاناته، و توجعاته النفسية، من شوق و حنين، و شكوى، و أحيانا كله أمل، و رجاء بغد الحرية.

4) السجن فضـاءا مكانـيا:

السجن مكان مظلم يعيش فيه السجين بين أربعة جدران حيث تتجمع فيه كل الأحزان، و المعانات، إذا يضم هذ الأخير في كل فترة زمنية، مجموعة من الشعراء، و الأدباء فنقلوا إلينا مأساتهم بكل صدق لأن كـل مسجون يعيش، ظلاما دامسا إلى درجة أنه « يضن أن الشمس لا تجـري، و أن القمر واقف، و أن الريح ماتت، و أن عقارب الساعة لا تتحرك...»[3]

و يظهر هذا الإحساس بقوة عند ذوي النفوس الرقيقة، و المشاعر الغزيرة إنهم شعراء و أدباء وصلتنا صيحاتهم و توجعاتهم عبر أبيات و كلمات كتبتها أنامل و أبدعت فيها نفوس ذاقت مرارة الوحدة، و الفراق، و طول الانتظار و ما أصعب الانتظار في مكان لا جديد فيه غير تعاقب المساجين، إنه مكان

(1) يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجون و المعتقلات في الجزائر، ص 135.

(2) أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص36.

(3) سليمان بن صالح الخراشي، عائض بن عبد الله القرني، المشاهير و السجون، ص33.

محن بالفعل لأننا نقرأ الكثير من الأشعار التي قيلت في هذا المكان المظلم الذي تحدث فيه أبشع صور التعذيب، و الجرائم التي يمارسها السجان كالصلب و الحرق و تقطيع الأعضاء، و غيرها من العقوبات الفضيعة التي لا يمكن لبشر تصورها، إذ يقال أن هشام بن عبد الملك قد عاقب عمارة الكلبي بخلع أضراسه، و قطع أظافر يده لأنه أجلس فوق هشام يوم كان و ليا للعهد، و هو تحت ألم التعذيب يقول :

عذبــوني بعـذاب * قلعو جوهر رأسي**

ثم زاد وني عذابا * نزعو عني طساسة**

بالمدي خرز لحمي * و بأطراف المواشي [1]**

فالشاعر، و هو يسيل دما عبر عن شدة توجعه، و نقل إلينا فضاعة، و وحشية ما فعل به، لدرجة أننا عندما نقرأ هذه الأبيات لا نصدق أن الإنسان، وصلت به الدرجة إلى أن يعذب أخاه الإنسان بهذه الفضاعة، فكيف يستطيع المسجون تحمل كل هذا العذاب إذ لا يكفي أنه أسير مسلوب الحقوق، وحيد لا أب و لا أخ، و لا صديق يأنس برفقته، و يقاسمه همومه، و أحزانه، فليس من السهل على شاعر، أديب حر تعود على الكتابة و النظم في جو الحرية أن يجد نفسه فجأة بين « أربعة جدران صامتة، و ألواح جامدة، و أبواب موصدة، صمت رهيب تكاد تختنق منه النفس...»[2]

مكان لا جديد فيه غير الوضاعة، و التعامل مع أناس جدد منهم الوضيع الرخيص الذي تشمئز النفس حتى من الحديث معه، لكن و بقدر ما يوصف السجن بأنه مكان قهر، و ذل، إلا أن له جانب إيجابي، فقد يعجب البعض من قول هذا، لكنها الحقيقة فقد « أظهر مواهب كثيرة من المسجونين، من وراء جدران سجونهم، فيكون التضييق عليهم توسيعا لمعارفهم، و تقلص جسومهم، و تمديد عقولهم »[3]

ما يعني أن السجن، و همومه، انعكس إيجابا على البعض فكانت تلك الوحدة، و الفراغ وسيلة لإبراز مكبوتاتهم و إبداعاتهم، إذ نجد العديد من المصنفات الأدبية المشهورة فنقرأ عن فترة، و مدة تأليفها تدرك أن إبداعها قد تم في السجن، حيث أبدع أصحابها في إظهار الجميل أجمل، و من المعروف مميزا لذلك صنفت أشعار السجون خاصة، من أجود الأشعار و أصدقها لأنها أكثر عمقا و تعبيرا عن مشاعر

(1) سليمان بن صالح الخراشي، عائض عبد الله القرني، المشاهير و السجون ص32.

(2) يحي الجبوري، محن الشعراء و الأدباء، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص34.

(3) سليمان بن صالح الخراشي، عائض عبد الله القرني، المشاهير و السجون، ص07.

صاحبها لأنه قال تلك الأبيات و هو يحترق بنار الشوق و الحنين و الغربـــة و أصبح يحلم بشيء واحد و هو أن يعود إلى الحرية يوما ما.

إن من كانت نفسه ثائرة، و مبدعة لا يمكن لمكان مثل السجن أن يعيقه، و يمنعه من الغوص في الوجود، و واقع السجن الذي يتسم بالظلم، و اللاعدل، و لا يقف الإبداع هنا لأن هناك حتى من تعلم نظم الشعر، و هو في السجن، إذ نذكر منه على سبيل المثال إسحاق بن خلف المعروف بابن الطبيب الذي ضاق به الحال، فأراد أن يتعلم نظم الشعر حتى يعبر عم بداخله ليخفف عن نفسه عذاب المكان .

و البعض اتخذ من السجن وسيلة تحفيزية للإبداع و هذا ما حدث لأبي إسحاق إبراهيم الصابئ الكاتب المعروف حين سجنه عضد الدولة بن بويه فقال « إن أراد الصابئ الخروج من السجن فليصنف مصنفا في أخبار آل بويه فصنف الصابئ الكتاب التاجي »

بمعنى أن هذا الكاتب ألف كتابه، بدافع التحفيز، و قام بذلك لأنه كان ينتظر مكافأة لا يوجد شيء في الحياة أغلى منها و هي الحرية حلم و أمنية كل مسجون.

و هكذا نخلص إلى القول أن السجن عقاب قاتل يدخله السجين، ليعرف حياة أخرى و عالما غير الذي يعرفه أناس، ليسوا من مستواه فيسمع الكلام البذيء و يرى التصرفات الهمجية، لم يكن يتوقع يوما أن يحدث له ما حدث.

لكن و كما عرفنا أن هذا العذاب كان سببا لدى بعض الشعراء، و الأدباء في تنمية مواهبهم، و زيادة معارفهم، و قدرتهم على تأليف الأفضل، و الأجود من الشعر، و حتى النثر.

الفصل الثاني:

دراسة موضوعاتية في الكتاب

1) قراءة عامة في الكتاب، و سبب تأليفه:

يصنف كتاب "عالم السدود والقيود " ضمن المصنفات الأدبية التي تسرد فترة من حياة أديب ما، أو مبدع من المبدعين، و العقاد من خلال هذا الكتاب يتحدث، بالواقع و الأفكار، عن الفترة التي قضاها في السجن، « فبعد خروجه من الأسر، ببضعة أعوام بدأ ينشر مقالات في مجلة " كل شيء " تحت عنوان " حياة السجن، ثم جمعت بعد ذالك، فكانت كتاب " عالم السدود و القيود " و هذا البعد الزمني يجعل من الصعب على الكاتب، أن يعيد العيش، في التجربة بجوها النفسي الأول، و إن تمكن إلى حد بعيد، أن يعيش فيها بعقله، و عقل العقاد كما هو معروف أقوى، من وجدانه بكثير ... » [1]

حتى و إن قيل عن العقاد أنه معروف بقوة فكره، إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل مشاعره، و عواطفه، في عالم "السدود و القيود " إذ وصف طبيعة إحساسه، و شعوره في الليلة الأولى، و صور معاناته النفسية، و الجسدية من خلال باقي موضوعات الكتاب الذي لا يمكن لأحد تصور طبيعة أجواءه، إلا من جرب و عاش تلك المعاناة فعلا.

صحيح أن العقاد، لم يكتب تلك الأحداث و هو في السجن، إلا أنه قد استطاع، أن يتذكر كل التجارب، و يكتبها، بكل واقعية هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على عمق تجربة الكاتب، و تأثيرها على نفسيته إذ يؤكد ذالك بقوله: « هذه الصفحات هي خلاصة، ما رأيته و أحسسته، و فكرت فيه يوم كنت أنزل "عالم السدود، والقيود" و أشعر ذالك الشعور، و أنظر إلى العالم، من وراءه ذالك النظر» [2]

و هذا ما يؤكد أن العقاد، قد عاش معاناة سجنية، بكل معنى الكلمة ما جعله يصور معاناة، و وقائع 9 أشهر، في كتاب تبلغ عدد صفحاته 124 صفحة، و لما نحمل و نتصفح أوراقه تلفت أنظارنا صورة العقاد، في صفحة الغلاف، و في التحديد في الجهة اليمنى، و يقابلها في الجهة اليسرى مباشرة عنوان الكتاب " عالم السدود، والقيود " و هذا التقابل، بين الصورة، و العنوان يحيل إلى أن هذا العنوان يخص صاحب الصورة، و هو العقاد، و الأمر متعمد من قبل الكاتب، لكي يوضح لكل قارئ، ينظر إليه، و لو للمرة الأولى يدرك فعلا أن بين الصورة، و كلمات العنوان علاقة، لها خلفياتها، فتزرع في أعماق القارئ، حب المعرفة، و رغبة، في الإكتشاف، أما العنوان فلا يتسم بالغموض بل كلماته تدل على المعنى المراد، و القارئ يدرك أنه ينصب، في موضوع الحبس، و الأسر، و ما شابه من موضوع فقدان الحرية، و الكلمة الأولى منه هي: عالم لأن السجن بالنسبة إليه، و بالنسبة لكل مسجون، هو ذالك العالم الثاني القائم بذاته المحدود زمانا، و مكانا، و الذي تنعدم فيه أبسط صور الحياة.

ثم يكمل ذالك العالم ب: "السدود والقيود" أي عالم الحجز، و التوقف و الأسر و التكبيل، إنه السجن.

---

(1) //www.stooob.com/318363.hlm:http

(2) عباس محمود العقاد، "عالم السدود و القيود " منشورات المكتبة العصرية بيروت، لبنان، د ط ، د ت، ص5.

أما فيما يخص سبب تأليف الكتاب، و الغاية منه، فيقول العقاد، في مقدمته ما يلي: « دعوى هذه الصفحات، و خير دعواها أنها تتكفل للقارئ، بأن يستعرض عالم السجن، كما استعرضه دون أن يقيم هناك تسعة شهور كما أقمت فيه، فإن كانت الصفحات التالية عند دعواها، فذالك وحده حقها، من القراء، و شفاعتها عند القراء، و هي إذن قد إختصرت تسعة شهور طوال، في مدى ساعات معدودات يطويها القارئ، بين دفتي هذا الكتاب الصغير ... »[1]

و من هنا تتبين غاية العقاد من تأليف كتابه، فبفعل عمق، وأصالة التجربة التي عاشها و ما تحملها، من آهات، و معانات جعلته يفكر في طريقة، يوصل بها إلى كل قارئ، واقع ذالك المكان و ما يحمله من أحداث، و مواقف يومية، تبقى في الذاكرة.

و بعد تقديم هذه القراءة العامة عن الكتاب، نستطيع القول أننا قد قدمنا، و لو أفكارا سطحية، عن شكل الكتاب، و محتواه، و هذا ما يمكن القارئ من أخذ فكرة أولية، عن الكتاب و حتى علاقته بالمؤلف، ثم يتعرف على شيء بالغ الأهمية، و هو غرض العقاد، من تأليف كتاب" عالم السدود و القيود " لننتقل الآن إلى عنصر آخر، سندخل من خلاله إلى مضمون الكتاب، ومعرفة تفاصيله.

2- قراءة في موضوعات الكتاب:

قبل التطرق إلى دراسة كتاب " عالم السدود و القيود " وجب علينا أن نشير إلى طبيعة المنهج، الذي سنعالج من خلاله موضوعات الكتاب، و هو ما يسمى بـ:« المنهج الموضوعاتي » إذ يقوم هذا الأخير على دراسة العمل الأدبي، من حيث المضمون، فيعمل على اكتشافه، و تحليله، و قد اعتمدنا على هذا المنهج، لأن دراستنا في الأساس تقوم على البحث، في الموضوع، و الكتاب الذي نحن بصدد دراسته يحتوي على مجموعة، من الأحداث، و الوقائع، و من خلال دراستنا له سنحاول الوقوف على تلك الأحداث لنصل إلى مضمونه و نفهم دلالته، و كما سنرى العقاد، قد اعتمد على عدة موضوعات ليصف السجن، و ينقل إلى القارئ، و المتلقي وقائعه و كيف أثرت في حياته، و كانت أولى تلك الموضوعات التي استفتح العقاد بها كتابه ما يلي:

أ- إلى قرى ميدان:

يبدأ العقاد كلامه في موضوعه هذا بوصف السجن الذي ستكون إقامته فيه و نجد الدلالة على ذلك في العنوان الذي انتقاه *إلى قرى ميدان* أي الطريق و التوجه إلى السجن، و الاسم ليس بالغريب، لأن العقاد سبق و أن ذكره في مقدمته ثم عاد و وصفه في قوله « فتح باب الرتاج الكبير، ثم احتوانا البناء

(1) عباس محمود العقاد، عالم السدود و القيود، ص06.

المحفور الذي يعرف في مصلحة السجون باسم: " سجن مصر العمومي " و يعرف على ألسنة الناس باسم " قرى ميدان " أي الميدان الأسود باللغة التركية ... »[1]

إن العقاد من خلال هذا الوصف الدقيق يعرف القارئ على سجن مصر العمومي و كيف شكل بناءه، و حتى عن دلالة اسمه و معناه في اللغة التركية و نحن نقرأ هذا الوصف و نرسم ذلك السجن في مخيلتنا، و كأنه موجود أمامنا، و هذا هو الهدف الأول للعقاد، و هو وضع المتلقي في الصورة و جعله يعيش التجربة بكل جوانبها.

و دخول السجن لم يكن بالحادثة البعيدة بالنسبة إليه، فهو كان يتوقع ذلك، و هذا ما يوضحه و يؤكده في قوله « و لم تقع مني هذه الرحلة بين الدار و السجن موقع المفاجأة لأنني كنت أنتظرها منذ زمن طويل ... »[2]

إن المسار السياسي الذي شكله العقاد، و مجال الصحافة الذي سلكه جعله لا يخاف، و لا يكترث للسلطات، و لا للسجن و عواقبه، فهو يصرح أنه كان ينتظر هذا الحدث منذ زمن طويل، أي منذ انطلاق قلمه في الكتابة الصحافية، و إقراره بجعل قلمه في سبيل وطنه، و حقوق شعبه المسلوبة.

و بعد ذلك يعود العقاد، إلى الأحداث الأولى التي سبقت سجنه و بالضبط أثناء استدعاء النيابة له، و كأن العقاد هنا وضف عنصري الإستباق، و الإسترجاع و هذان العنصران كما هو معروف يجعلان المتلقي يتفاعل مع الأحداث حتى يصير جزءا منها، و هذا هو مرام العقاد، فيخبرنا عن ذلك بقوله « و في اليوم الثاني عشرة من شهر أكتوبر، دق الجرس، و أنا وحدي بالمنزل، ففتحت الباب فإذا بظابط يبادرني بالسؤال هل حضرتك فلان ؟

قلت: نعم، فمد إلى ورقة من دفتر في يده، فتناولت الورقة، و قرأت فيها دعوة، من صاحب السعادة النائب العمومي ... » [3]

و من هنا يظهر العقاد للقارئ و تتضح له شخصيته، التي سبق، و أن عرفنا عنها الكثير، في مدخل البحث، ككرامته التي يضعها فوق كل اعتبار، فهو لم يكثر الحديث مع الضابط، و لم يندب حظه كما يفعل الأغلبية المشابهة لموقفه، بل يظهر تقبله للموقف، و يستمر العقاد بسرد الأحداث إلى أن يدخل السجن: فينتقل إلى جو آخر، أناس جدد، و سلوكات، و مظاهر غريبة من خلال موضوع:

---

(1) نفسه ص7.

(2) نفسه ص07.

(3) نفسه ص 09.08.

ب- الليلة الأولى في السجن:

إن الليلة الأولى في السجن لها تأثير كبير على نفس كل مسجون، فهو ينتقل من نعيم إلى عذاب، فيصف العقاد لنا هذه التجربة، و هذا الجو الغريب، لكن يجب الإشارة إلى أن العقاد هنا لم يدخل الزنزانة بعد، أي قبل حلول الظلمة، بساعات فيقول « دخلنا العنبر فكانت أول ما صادفنا فيه منظرا عجيبا، لا تألفه العين: أناس بملابسهم العادية جالسين القرفصاء، في صمت لا يلتفت أحدهم يمينة و لايسرة، و من ورائهم تفر مكبوني الأرجل، والأيدي كما تمشي الدواب يزحفون زحفا و يتغنى أحدهم بصوت خفيض، و الباقون يجيبونه بصدى لا بصوت .. »[1]

يحاول العقاد من هنا أن ينقل جو العنبر، من خلال وصف أولئك المسجونين فيظهر تعجبه، و استغرابه من ذالك الصمت ، لدرجة عدم التفاتهم يمينا و لا يسارا، و يشبه طريقة مشي بعضهم بمشي الدواب، ذلك لأنهم مقيدون، و هذا ما يعكس شدة وقع المنظر على نفس العقاد، إذ اعتبر المسجونين، بمثابة الدواب لصعوبة قدرتهم على المشي، ثم يؤكد على جو الصمت الذي غمر الجالسين، من خلال الأغاني التي يغنيها أحدهم، بصوت منخفض و الآخرون يردون عليه بصدى لا بصوت، كأنما العقاد يريد القول أن الكلام أشبه بالأمر الحرام في هذا المكان.

و في بداية قول العقاد ذكر أسماءا غريبة نوعا ما علينا مثل: القرفصاء وتعجب أيضا، من اللباس العادي الذي ترتديه تلك الجماعة، ليجد بعد قليل الإجابة، على تعجبه فيقول « وعلمت بعد ذالك بهنيهة أن هؤلاء الجالسين القرفصاء، وهم المحبوسون على ذمة التحقيق، و أنهم جلسوا تلك الساعة، في انتظار الخروج للطابور، الذي هو موعد الرياضة مساء كل يوم خميس، و للمحبوسين شوق إلى موعده يفرحون به أشد من فرح الطلقاء بنزهة على شاطئ النيل، و طريق الأهرام ... »[2]

شبه العقاد فرحة المسجونين، بموعد الرياضة، بفرحة إنسان حر سيخرج في نزهة إلى شاطئ النيل، و طريق الأهرام، و هذا تشبيه رائع استطاع من خلال هذا التمثيل، أن ينقل إلينا نحن القراء شدة اشتياق المسجونين لعالم الحرية.

و العقاد في كل مرة، لا يترك نقطة، و لا إسما إلا و عرف به فبعد أن عرفنا القرفصاء، يعرفنا الآن، بالمكبون فيقول « أما المكبون على أربع، فهم المكلفون بتنظيف بلاط المنبر، و هم يتغيرون كل شهر ... و هم لا يحبسون في الحجرات ... »[3]

---

(1) نفسه ص11.

(2) نفسه ص 12.

(3) نفسه ص 12.

و هكذا عرفنا أبرز ما لفت انتباه العقاد في الوهلة الأولى من دخوله للسجن ليأتي الليـــل، فيما بعد، و يسود الظلام، فيقول عن ذلك « و هبط ظلام الليل شيئا فشيئا، و عاد المسجونون أفواجا إلى الحجرات، و تعالت بينهم ضجة كضجة السوق، ثم سكتت الضجة، و شرع اثنان في قافية من القوافي المعروفة، في محافل الأعراس، و الموالد المصرية ... »[1]

نرى أن العقاد في قوله هذا، يصف لنا أجواء الحجرات، و كيف يتعامل المسجونون مع ذلك الجو خاصة خلال فترة الليل، فيظهر تعودهم على ذلك المكان، من خلال حديثهم مع بعضهم، لدرجة تبادلهم القوافي، كأنهم يتسامرون و يحاولون خلق جو حميمي.

و لكن كما يظهر أن وقع ظلام الليل على العقاد أمر مختلف فيقول « أما أنا فقد أظلمت الحجرة عليا ظلامين، لأن النافذة المغلقة محت كل ضياء يتسلل إلى الحجرات، من فناء السجن المنار بنور ضئيل.»[2]

و هنا يظهر عدم تأقلم العقاد مع طبيعة الحجرة و الظلام الدامس الذي لم يألفه، يبدو أن الليلة الأولى في السجن، و الأحداث التي سبقتها بساعات كانت كلها معاناة، و غرابة عاشها العقاد، و في كل مرة يبحث عن إجابات لعلها تساعده على التأقلم.

ينتقل العقاد الآن إلى ذكر مختلف السلوكات التي يمكن أن تمارس ،في هذا السجن، التي و بفضل العقاد، سنتعرف عليها، و أولها:

ج- التهريب:

يقول العقاد « و ليس التهريب في السجون بالشيء الهين لأنه هو الدفاع الوحيد الذي ينتقم به المسجونون، من الأسوار، و القيود، و الحراس و له وحدة تجارية واسعة النطاق تجري على معاملات خاصة، ولغة خاصة ... »[3]

ما أراده العقاد في هذا واضح و جلي، أي أن التهريب في السجون عامة يأخذ معنى الانتقام من كل القيود، و الأسوار، و حتى من الحراس، فيحاولون إخراج غضبهم من خلال هذا التهريب، و يقول العقاد عن التهريب أنه يأخذ معاملة خاصة، ما يعني أن طبيعة اللغة المتداولة بين المسجونين خاصة، فهي

---

(1) نفسه ص 14.

(2) نفسه ص 16.

(3) نفسه ص 17.

بمثابة رموز، لا يفهمها غيرهم فمثال ذلك يقول العقاد « الزمارة هي اللفيفة، و أن العين هي النار وأن العربة هي الحارس نفسه ... »[1]

و هذه من بين الألفاظ الشائعة بين المهربين و لم يسلم العقاد من المهربين، و خبثهم، و استغلالهم، فيخبر عن ذلك يقول « جاءني خادم الحجرة، في الصباح الأول، و أنا لا أعلم شيئا عن المحضورات، و المباحات، و أولها إعطاء الطعام، و الفاكهة لخادم الحجرات، فأعطيتها له، و فرح بها فرحا شديدا، و أسرع، و خبأ بعضها في لبدته، ولف بعضها، في سرواله، و تسلل من الحجرة، إلى حيث لا أعلم وعرفت بعدها أنه باع معظمه، بزمرة»[2]

يتحدث العقاد بكل صراحة عن مجرى الأحداث التي وقعت له، و كيف تم استغلال جهله بطبيعة السجن، و مكر المتواجدين فيه، ليتخذوا منه وسيلة لكسب أرباحهم، و هذه هي طبيعة السجون عامة إذ يظهر استغلال بعضهم لبعض.

ثم ينتقل بنا العقاد إلى عنوان آخر نتعرف من خلاله على ظاهرة أخرى معروفة، في السجون، و هي ظاهرة جميلة يتميز بها المثقفون بالدرجة الأولى و هي:

د- القراءة:

و في هذا الصدد نجده يقول « يسمح النظام في قرى ميدان، بالقراءة للمحجوزين، على ذمة التحقيق، و المحكوم عليهم، بالحبس البسيط، و تنحصر القراءة المسموح بها، في الكتب الدينية، و العلمية، و الأدبية التي لا تخل بالنظام... »[3]

ما يريد قوله أن إدارة السجن تسمح لهؤلاء المسجونين، و الذين سبق ذكرهم، بأن يقرأوا من الكتب، ما لا يمس بالسلطة، و النظام في شيء لكي لا تحرضهم على الكتابة عنها، فالنظام لا يقبل و لا يريد، أي اعتراض و سبب سجن العقاد نفسه خير مثال على ذلك.

و لا يخفى على أي قارئ قرأ عن العقاد حبه للمطالعة، و التثقيف فيخبرنا عن ذلك فيقول « و قد وقع اختياري عندما وصل إلى إعلان دعوة التحقيق على كتابين، في التاريخ و الأدب، و هما الطبعة الجديدة، من مختصر تاريخ العالم، للمصلح الإنجليزي (ه، ج، ولز) و سيرة بيرون للكاتب الفرنسي (اندريه موروا) مترجم إلى الإنجليزية، فأفردتها جانبا و وضعت علامات على الكتاب الآخر الذي سأطلبه بعد الفراغ من هاذين الكتابين ... على أنني لم ألبث حتى عرفت أن للكتاب في السجن فائدة غير

---

(1) نفسه ص 18.
(2) نفسه ص 19.
(3) نفسه ص 24.

فائدة القراءة، و هي الإستخارة: و هي أن يفتح القارئ الكتاب على الصفحة اليمنى، ثم يعد سبعة أسطر، و يقرأ ما يصادفه، في السطر السابع فإذا هو المصير الذي ينتظـــره و (القرعة) التي تصيبه بغير تدبير، و لا مجاملة و لا مداراة، فإذا كان الكتاب مصحفا، أو كائنا كان، فإذا ذاك أشبه بالوحي السماوي، و صوت النذير من عند الله »[1]

ما يقصده العقاد، هو أن القراءة في السجن لم تكن لغرض التثقيف أو المطالعة إنما كانت من أجل سبب آخر و هو الإستخارة حيث كانوا يؤمنون بها إلى حد اعتبارها كالوحي، خاصة إذا كان الكتاب المختار مصحفا فهم يعتبرونه كنذير من عند الله، وهذا عكس العقاد الذي كان قبل الإنتهاء من قراءة كتاب ما يضع علامة على آخر كي يقرأه، فهو شغوف بالمطالعة، فالقراءة لطالما كانت لها فوائد لا تحصى سواء في السجن، أو في أي مكان آخر، و كيف لا، و قد « شجع الإسلام عليها من حيث هي مظهر حضاري فكري جميعا، و لعلى من أروع الأمثال عن ذلك التطلع: تطوير المعرفة، و الحرص على نبذ الأمية والجد في طلب العلم »[2]

و ننتقل بعد موضوع القراءة إلى موضوع آخر،لا يقل أهمية و هو:

ه- الأخلاق:

وجب علينا في البداية التذكير بأن العقاد في كتابه قد ذكر نوعين من الأخلاق فرقمهما بـــــ أخلاق (1)، أخلاق (2)، و في دراستنا حاولنا المزج بينهما، لنجد العقاد يؤكد على ما يلي :

« الألفة شرط المعرفة »[3]

إن ما يستدعي الملاحظة، في هذه العبارة، أن العقاد صاحب تجارب، و خبرات في هذه الحياة إذ لا يمكننا الحكم على شخص ما بطريقة، أو بأخرى على أخلاقه دون أن نتعامل معه مدة زمنية كافية، تجعلنا نعرف حقيقته، و العقاد في بقية ما يلحق بالعبارة يبين أن البشر أصناف و الكون مجتمعات، لذلك لا يمكننا الحكم على أخلاق فرد من مجتمع ما، على حد معرفتنا، و نظرتنا لأخلاق المجتمع الذي يعيش فيه، ثم يخصص العقاد حديثه عن الأخلاق في السجن فيقول « و من السهل على من يراقب هؤلاء السجناء، أن يقسمهم إلى طائفتين، من المجرمين مختلفين في البواعث، و الأخلاق، و ضروب الإجرام، فهناك مجرم الإعتداء الذي لا يبالي بآلام غيره، وهناك مجرم الخسة، الذي لا يبالي ما يجلبه على نفسه من العار، المهانة و أضره ما يبدو من خلائق المجرم الأول أنه جامد الحس، من ناحية الشعور بإطلاقه، فهو يتحدث عن أفجع المصائب و أبشع حوادث القتل، و التعذيب، كأنه يتحدث عن فكاهة، أما مجرم

(1) نفسه ص 24.25.
(2) عبد المالك مرتاض، نظرية القراءة ، دار العرب للنشور والتوزيع، د ط، د ت ، ص15.
(3) نفسه ص 31.

الخسة فهو حقير بين المجرمين يقولون عنه أنه '-' نتن " يدخل السجن و يصبر على الإهانة، و معضم ما يقترفه هؤلاء المجرمون الأخساء مقصور على صغائر السرقات، و الإحتيال، و الكذب و ما ذالك من جرائم النذالة ... » [1]

فالعقاد حينما ميز بين هذين النوعين من المجرمين، أراد أن يوضح شدة بشاعة السجن، و فضاعة أشخاصه، فالمجرم الأول يظهر أنه عديم المشاعر، و الأحاسيس، لدرجة أنه لا يكترث لآلام غيره، و توجعاتهم فربما يمكننا القول أن بشاعة السجن و قساوته زرعت في نفسه هذا الشعور باللامبالات، و هذا ما يوضحه كانط بقوله « لا يمسه سوء الحظ الذي يقع للغير لاستغراقه في سوء الحظ، و في هذه الظروف، لا يدفعه أي ميل لفعل الخير ... »[2]

أما المجرم الثاني، فهو صاحب الأخلاق الوضيعة، إذ يظهر تعوده على تقبل المهانة، و الذل، من قبل المسجونين لدرجة أن أصحابه يلقبونه بـ" النتن " فهذه اللفظة تطلق على الرائحة الكريهة، بمعنى أن هذا المجرم أصبح نتنا لشدة وضاعته، كما نذكر أيضا، من بين الصفات التي لفتت انتباه العقاد هي: الفكاهة فيقول « في السجن لم أرى إلا عددا يسيرا جدا يحسن الفكاهة، و لا أذكر أني سمعت كلمات كثيرة تدل على فطنة، للموافق المضحكة و إن كنت قد سمعت كثيرا من النكت المحفوظة، و الفكاهات المكررة »[3]

فالعقاد شخص معروف، بذكائه، و قوة فطنته للأشياء لذلك لاحظ كل صغيرة و كبيرة من أخلاق و صفات سواء كانت إجابية أم لا.

فعندما نعود إلى طبيعة أخلاقهم التي أخبرنا عنها العقاد، كالوضاعة، و عدم حب الخير للغير، فإنه يقول لنا أن في السجن أيضا أخلاقا طيبة، و أشخاصا يتصفون بالرحمة، مثال ذلك تلك المواقف التي شاهدها؛ « رأيت مرة طفلا صغيرا من الأطفال الذين يودعونهم، في سجن مصر ربما ينقلونهم، إلى سجن الأحداث، و كان هذا الطفل مع أقرانه ينتظرون الرحيل، في فناء السجن المعرض لأنظار الرؤساء، و المساجين، فمر به سجين، فرفع له الطفل رأسه، و ناداه بلهجة المسكنة الطبيعية، التي يستشعرها الصغير، في غيبة أهله، و قال له: " جوعان " فتمهل السجين هنيهة، و قال: ماذا أصنع لك يا

---

(1) عباس محمود العقاد، "عالم السدود، والقيود 38 . 39.

(2) إمانويل كانط، ترجم وقدم له مع تعليقات فيكتولبوس، الدكتور محمد قبحي الشنيطي،. دار النهظة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، .1969.

(3) عباس محمود العقاد، عالم السدود و القيود ص 42.

بني؟! و انصرف آسفا، فضننته لا يعود، و لكنه ما لبث، أن عاد، و معه رغيف سرقه من المخبز، و لو نظروه، وهو يسرق، لما نجا من الجلد الأليم ... »[1]

يظهر هنا إعجاب العقاد بأخلاق ذلك السجين، لأنه قد ضحى من أجل الطفل الصغير، بإسكان جوعه، غير مبال في ذلك بعواقب فعلته.

ما يمكن استخلاصه أن في السجن يوجد من الناس سيء الأخلاق، كما يوجد طيبـــها رغم قلتـــهم، و صحيح أن السجن يعلم القساوة، و الأنانية، إلا أن من كانت نفسه طيبة، فلا بد أن تظهر هذه الصفة، في أي مكان، و لو كان في السجن ذاته.

كما علمنا سابقا، أن العقاد، قد مرض فترة تواجده في السجن، و نقل إلى المستشفى، و قضى فيه ليلة واحدة، و قد تحدث عن تلك الليلة و جعلها أحد مواضيع كتابه فوضع تحت عنوان:

و- ليلـــــة المستشفى :

و العقاد في بداية هذا الموضوع لم يتحدث عن نفسه إنما ذكر بعض المسجونين، و كيف يدعون المرض، لكي يتم إدخالهم إلى المستشفى فيقول « و ليس العقاب بالشيء المهم عند مصطنعي المرض وطلاب الراحة فترة من الزمن، و لو أعقبها التعب المضاعف فإن السجين، إذا أضفر، بالإنتقال إلى قسم الملاحظة الطبية أياما فقد غنم الفراغ، من العمل، وغنم الطعام المقبول، في بعض الحالات ثانيـــا و غنم لقاء أصحابه، و هذا المستشفى إذا رآه إنسان، من الطلقاء عافه لأول نظرة، و لم يصبر على البقاء فيه ساعة واحدة...»[2]

ما يعني أن هؤلاء السجناء يريدون دخول المستشفى، لشدة تعبهم من الأعمال، في السجن و سوء الأطعمة، و سبب آخر هو شوقهم و رغبتهم في لقاء أصدقائهم، حيث يظهر عدم اكتراث هؤلاء المساحين بشدة العقاب، الذي سينالونه، بعد اكتشاف أمرهم، و رغم أن مستشفى السجن لا يتوفر على ضروف أحسن من ضروف السجن إلا أنهم، قد اختاروا المستشفى، فكما يبدو أن تلك المعاناة التي يعيشونها، في السجن تجعلهم يرون في المستشفى أحسن ملجأ.

و قد مرض العقاد، و هو في السجن، و أصيب بالزكام الشديد، إلا أنه لم يرغب في دخول المستشفى، فيقول « لقد رأيت ذلك المستشفى خلال زيارة الطبيب، و لكني لم أطمح إليه، و لم أزل أتوقاه، وأتحاماه، فلما طال الأمر، و خفت العاقبة ألا تجرب ساحة الرضوان، مع المجربين؟...»[3]

---

(1) عباس محمود العقاد، عالم السدود و القيود ،ص 45.46.
(2) نفسه، ص 55.
(3) نفسه ص 56.

ما يريد العقاد قوله، أنه لم يرد دخول المستشفى، كباقي المساجين لأنه قد رآه قبلا، و نفرت نفسه منه إلا أن المرض الشديد جعله يتقبل الفكرة، و يدخل المستشفى لكنه، وفي الليلة الأولى، كره البقاء فيه، و رغب، في الخروج، و هو في ذلك يخبرنا بقوله: « سألني الضابط مستغربا:

- ماذا يجرى ؟

- قلت: لا شيء إلا أنني لا أطيق المكوث بهذا المكان، و لا بد لي، من العودة إلى الحجرة، أو المبيت، في أي مكان غير المستشفى.

- فتبسم كأنما كان ينتظر هذه النتيجة، و قال لي، و ماذا كنت تصنع، لو صادفتك القرعة، في قسم الأمراض الباطنية ؟

- قلت: أهو شر من هذا ؟

- قال: بما لا يقاس

قلت شكرا لكم على هذه الرحمة، و لكن الحجرة على كل حال أرحم من الغرفتين، لأني أجد الأرق هنا، و هناك، و لكن أردت هناك، و لا أسمع الأنين، و لا أشم هذه الروائح، و لا أرى مايسوء »[1]

لم يتعود العقاد على جوا الأنين و الرائحة الكريهة، كما وصفها هو فيظهر من ذلك، تفرده على باقي المساجين ، لأن شخصية العقاد لا يمكن أن ترضى غير الهدوء و السكينة، فيظهر عدم تعجب الضابط منه و سؤاله، يوضح أنه كان منتظرا ردة فعله هذه.

كما تحدث العقاد عن شخصية أثارت إعجابه بذكائها و فطنتها فخصص لها عنوانا:

ز- أحمد حمزة :

نجد العقاد في البداية يشهد بذكاء هذا الشخص فيقول « أحمد حمزة رجل بارع الذكاء، بل هو أبرع الناس ذكاءا...أحمد حمزة هذا ليس بسجان، و لا بموضف، في السجن، و لا بزميل فيهن ولكنه طاهي البيت عندي، منذ عشر سنوات... »[2]

ما نستنتجه، من قوله، هو أن أحمد حمزة، من بين الأشخاص الذين عاش معهم، في البيت، قبل سجنه، فيظهر حبه له، و إعجابه به ،وكما يبدو، أن أحمد حمزة، قد استمرت علاقته بالعقاد، حتى و هو في السجن، و هذا ما يتبين، من قول العقاد عنه « فقد استطاع الشيخ أحمد، بذكائه الثاقب، أن يعلم أنني

---

(1) نفسه ص58.

(2) نفسه ص 59.

أتناول الغداء، نحو الساعة الثانية، و لا أغيرها، و لكنه لم يستطع أن يعلم، أن مواعيد السجن غير مواعيد البيت، و لم يستطع، أن يصدق السجانين، لأنه لا يصدق إلا ما يسمعه من الأستاذ...و كان السجانون قد عرفوا الشيخ أحمد و خبر منهاجه في فهم الأمور، فولعوا، بعناده، و استثارته، وأنذروه يوما، لئن لم يحضر غدا قبل الساعة الثانية، ليدخلنه السجن، و لا يخرجنه منه، بعد ذلك أبدا و لم يحفل الشيخ، بوعيدهم، ... فما دق الباب حتى كان السجانون على أهبة الاستعداد، للقبض عليه ... فأخذوا بيديه، و سندوا به، و هو يستعيذ بالله، و يقاوم، بقوة الجبارين فماذا ينتظر؟ أنتظر حتى يتغلب عليه هؤلاء الظلمة، و يوقعوا به، في الفخ، لا و حق الأولياء لم يستطعوا أن يزحزحوه شبرا ... و أفلتوه و قد غلبوا ضحكا... »[1]

و هذا ما يؤكد، أن أحمد حمزة رمز الوفاء، و الولاء، فهو لم يترك العقاد لحظة، و استمر بزيارته إلى السجن، و إحضار الطعام إليه، إذ لم يكترث بتهديدات السجانين، و تخويفهم، لأن حبه للعقاد فوق كل شيء و كما يبدوا أن معظم الأشخاص، الذين يتعامل معهم العقاد، و يحبهم هم أشخاص متميزون مثله. ذكر بعض صفات الذكاء التي يمتاز بها أحمد، في كثير، من المواقف، فيقول « أيسر طلب تطلبه منه يجري على هذا الأسلوب:

- هات قهوة يا شيخ أحمد

- نعم؟

- هات قهوة

- أجيء بماذا؟

– بقهوة!

- بقهوة تقول حضرتك!

- أي نعم بقهوة

- فيكتفي، و لا يحوجك بعد ذلك لذكائه إلى يمين مغلقة، ليصدق أنك تطلب قهوة!» [2]

و هكذا استنتجنا أن أحمد حمزة نموذج للأشخاص الذين أحبهم العقاد، و أعجب، بطريقتهم، في التفكير، و كيفية فهم الأمور.

---

(1) نفسه ص 64. 65.

(2) نفسه ص 60.59.

كما نجد من بين موضوعات الكتاب البارزة التي تحدث عنها العقاد موضوع ** الوقت ** و من خلاله، سنتعرف على كيفية تعامل السجناء معه:

ك- الوقت :

لعلى أول ما استفتح العقاد به كلامه بشأن الوقت، في السجن كان في قوله: « الوقت أعدى أعداء السجين فلو إهتدى إلى طريقة يخلص بها من وقته، لاهتدى إلى طريقة يخلص بها من سجنه ... الوقت في كل مكان، من ذهب كما يقولون، إلا في السحن، و ما شابه السجن فهو من رصاص، إن أردت ثقلته، و بشاعة إسمه، و هو من تراب إن أردت رخصه، و مضايقته، و الرعية، في كنسه الوقت أثقل شيء على وجدان السجين، و أخف شيء على لسانه»[1]

ما نستنتجه، من قول العقاد، هو أن الوقت، في السجن بمثابة كبوس يطارد السجين، فلو كان الأمر بيده، لعمل على عقارب الساعة، و سرع في مرورها، لأن الوقت بالنسبة إليه متوقف، و لكن هذا السجين يبقى دائما متأملا في انقضاءه، و يصبر نفسه بعدم بقاء الكثير على موعد خروجه، و قد ذكر العقاد كثيرا، من الأمثلة على ذلك، و من ذلك قوله: « سل من شئت بين ألوف السجناء عما يبقى له، من مدة سجنه، و ثق أنه يغالطك، في الجواب، و ثق أنه غالط نفسه قبل أن يغالطك مرات، بل ثق أنه لا يغالطك، إلا ليستعين بذلك، على مغالطة نفسه !

سألت أحدهم كم بقى لك من السنين ؟

- فقال: ثلاث، و أنا أعلم، أنه قد بقيت له خمس سنوات، لا تنقص إلا بضعة أيام و إنما القاعدة عندهم، أن يسقط السنة التي هو فيها، و السنة التي يخرج في نهايتها، و لا يحسب، إلا ما بين السنتين ! »[(2)]

و هكذا نكون قد عرفنا معنى الوقت، في السجن و كيف يحس السجين بمروره، و يتعامل معه، بطريقة غريبة بكل أمل و رجاء، و ماذا بوسعه أن يفعل غير هذا الصبر لأمل سرعة الانتهاء من الانتظار، و العقاد هنا في حديثه يعـــتبرها مغالطة السجين لنفسه أولا، و بعدها مغالطة الآخرين، لأنه، و مهما كان، ستبقى الحقيقة حقيقة، و مدة الخروج، و انقضاءها تبقى كما هي و إن ما يأخذ غير الحقيقة، هو تفويت الوقت باللسان، و تسريع انقضاءه.

و مهما طالت مدة الحبس، فإنه لابد من يوم ينتهي فيه هذا الإنتظار، و يأتي الإفراج، و في هذا الموضوع، قد تحدث العقاد عن يوم الإفراج بالنسبة لأي سجين، ثم خصص الحديث، عن نفسه و هذا ما سنعرفه، في موضوع:

---

(1) نفسه ص 84.
(2) نفسه ص 84.

ل- يوم الإفراج:

في بداية هذا الموضوع يقدم العقاد مرادفات، ليوم الخروج من السجن، ثم يكمل حديثه، عن هذا اليوم، و مدى فرح المسجونين به، فيقول« يوم الإفراج، أو يوم البعث، و النشور، أو يوم الحرية، أسماء كثيرة يسمى بها يوم الخروج، من السجن و الناس يحسبونه أسعد أيام السجون، لأنه اليوم الذي أنتظره مئات الأيام ... و هم على حق فيما يحسبون، لو أن الشعور مما يقاس بأمثال هذه المقاييس التي تقاس بها الأحجار، و الأرقام، و كان الشعور يجري على منطق غير هذا المنطق، فيوم الإفراج يوم لا تهتز له نفس السجين، بسرور عظيم، وسبب ذلك، هو بعينه السبب الذي يحسبونه جالبا للفرح، و اللهفة، و هو أن السجين قد انتظره مئات الأيام ... حتى إذا جاء هذا اليوم الموعود إذا بالسجين يراه كأنه وجه قديم طالما رآه، وأدمن النظر إليه ... »[1]

ما يتضح، من قول العقاد، هو أن أي إنسان يرى يوم الإفراج بالنسبة للسجين، يوم لا يمكن وصفه، بالكلمات لأن السجين لا يفكر، في شيء، و لا يشغله أمر غير الخروج، و رؤية العالم مرة أخرى، لكن العقاد، في المقابل يقدم لنا شيئا مخالفا، لم نراه نحن، إذ يقر أن يوم الإفراج، بالنسبة للسجين، ليس هو السعادة المثلى، و سبب ذلك، هو أن طيلة تواجد السجين، في الأسر، و هو يفكر في هذا اليوم، و لا يوجد ما يؤرق تفكيره غير هذا اليوم و لحظة وصول هذه الساعة، كأن كل التفكير يتوقف، فتصبح تلك السعادة سعادة عادية، ليس كما يحسبها، كل الناس و قول العقاد هذا يعتبر أصدق الأقوال، لأن الحقيقة تؤخذ من المجرب، و ليس من غيره .

ثم يتحدث العقـاد عن نفســه و يصف لنا شعوره بعد عودته، إلى المنزل مجددا، فيقول « هل

مضت على آخر جلسة، في هذا المكان تسعة أشهر؟ لا أضن، أو أضن أنها مضت، و نسخت نفسها، بانقضاها فلم أمكث، في المنزل ساعات، حتى خيل إلى أنني رجعت إليه ذلك الصباح، بعد أن فارقته ذلك الصباح ! »[2]

من الواضح أن العقاد، و بعد عودته إلى المنزل، شعر بشعور كأنه، لم يبتعد مدة 9 أشهر عنه، بل أحس بمفارقته لحظة صغيرة جدا، ما يجعلنا نفهم، أن العقاد، و طيلة سجنه، كان يفكر كثـيرا، بمنزلــه، و عائلته، لدرجة جعلته لا يحس بطيلة البعد.

كما لم يغفل العقاد، في كتابه عن قضيتين مهمتين، في عالم السجون و هما: الجريمة، و العقاب، إذ خصص لهما بعض الصفحات ليبين، وجهات نظره، و هذا نجده مندرجا تحت عنوان:

---

(1) عباس محمود العقاد، "عالم السدود، و القيود " منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط ، د ت، ص87.
(2) نفسه، ص 90.

م- الجريمة و العقاب:

يقدم العقاد، في هذا الموضوع أفكاره الخاصة، فيقول « يرى * كانت * أن عقاب المجـرم واجـب، و حق و لو لم تكن له نتيجة، غير جزاء العمل بمثله، و مقابلة للأضرار بالأضرار، فإن العدل البديهي يأمر، بأن من يؤلم، و من يسيء يساء... »[1]

ما يعني أن العقاد انطلق، من فكرة كانت، التي تقر، بضرورة عقاب المجرم، و لا بد لهذا الأخير، أن ينال ما يستحقه، من جزاء على جريمته لأن العدل الحقيقي، و الذي يرسمه كل إنسان يؤكد على وجوب المعاقبة لكل متعد، منتهك لحقوق غيره.

و في صلب الحديث يورد العقاد فكرة السجن، في العصر الحديث و كيف أصبحت وسيلة للإنتقام، لا للإصلاح. و في نهاية موقفه، يقدم مجموعة من الأفكار يرى فيها خير بديل فيقول « و نهتدي فيه إلى طريقة أصلح منها لحماية المجتمع، و تنفيذ القانون، يخيل إلي أننا، لا نملك وسيلة للإصلاح، في هذا الصدد خيرا من استخدام، الرقي العلمي، والتقدم الصناعي في مطاردة الجريمة، وكشف أسرارها قبل وقوعها، و قد نصل، إلى المستطاع من تحقيق هذا القصد، إذا رفعنا طبقة الشرطة، و زودناهم، كما نزود المحققين، بالأساليب العلمية... » [2]

فكرة العقاد واضحة جدا يرى أنه من المستحسن، لو يأتي يوم، و نستغني فيه عن السجون، متخذين من الوسائل الحديثة الطريقة الأمثل لكشف مختلف الجرائـم قبل وقوعـها، و العقاد لطالما أحب الحداثة و ناد بها. و في الأخير، و كخلاصة، لأهم قضايا عالم السجن، اختار العقاد أن يكون حديثه، عن بعض سجون الغرب، و كيف هي ضروف المساجين فيه و مقارنته، بسجن مصر العمومي، و هذا ما نجده في موضوع:

م- بعض الإصلاح:

فيقول العقاد في هذا الموضوع مايلي : « في السجون تبلغ عدة الكتب، أثنى عشر ألف مجلد، و تتلى على السجناء أخبار العالم ملخصة في الصحف السيارة .... و يباح لهم سماع الإذاعة، و لعب الشطرنج... »[3]

و كما يتضح، من قول العقاد هذا أن السجن، في أمريكا، هو في حقيقة الأمر، لا يشبه السجن في شيء لأنه، و ببساطة يتوفر على إمكانيات جيدة، و كل وسائل العيش الراقية، التي تجعل من السجين شخصا

---

(1) نفسه ص 109.
(2) نفسه ص 110.
(3) نفسه ص 114.

قارئا، و لم يبق السجن فضاءا للخمول، و الملل بل أصبح مكانا، للعمل، و عدم الكسل، و لكن العقاد، في نهاية موقفه يرى أن هذه المتعة ضارة نوعا ما، لها جانب سلبي، فيقول « أن هذا النظام مفرط، في التوسعة، إذ المقصود، من الرحمة بالسجين أن نتجنب الألم الذي لا ضرورة له، و لا منفعة فيه، و ليس المقصود أن نحول السجن إلى متعة يشتهيها الطلقاء...»[1]

بمعنى أن أضرار السجن هنا ، تكمن في تشجيع الناس، على ارتكاب الجرائم، التي تكون سببا، في إدخالهم السجن، لأنه يتوفر على أرقى ضروف المعيشة، أما عند سجن مصر العمومي الذي مكث فيه العقاد فيخبرنا عنه في قوله « لكن ازدياد النسبة عندنا مرجعة فيها نظرا إلى سبب آخر غير إيثار معيشة السجن، على معيشة البيت، و هذا السبب هو تعاقب عصور الظلم، و التعسف، و الاستبداد، حتى أصبح ضحية القانون و طريدة الحاكم...» [2]

بناءا عليه يمكن أن نخلص إلى ما تطرقنا إليه من خلال موضوعات العقاد في كتابه هذا إذ نجده قد نوع في الموضوعات حيث كانت مناسبة لشخصيته المتزنة الرزينة.

(2) نفسه ص 115.

(3) نفسه ص 115.

خاتمـــــة

خـــاتمـــة:

بعد الدراسة، تبين أن السجن مؤسسة قائمة أساسا على هدف أسمى، و هو محاربة المجرمين، و القضاء على كل أ شكال العنف و الإنحراف، و هدا باعتبار ما كانت عليـــه، قبل تحولها فيما بعد، لتتخد طرقا أخرى و غايات شخصية كالإنتقام، و هذها المؤسسة لا تخلو في أي فترة من فتراتها من شعراء و أدباء وقفوا شاكيين و متوجعين من حال الاسر و ضروفه القاسية.

أما من خلال دراستنا لكتاب عالم السدود و القيود، و تحليلنا لموضوعاته تبين لنا أن العقاد:

- أديب عظيم تبرز شخصيته في كل المواقف.

- تميزه بالصدق في نقل تجربته السجنية بكل إتقان.

- في كل مرة يقدم العقاد موضوعا و يجسد من خلاله أفكاره و حالته النفسية.

- إستطعنا بفضله أن نتعرف على جو آخر و أشخاص مختلفي الطبائع و السلوكات.

- تتميز كتابته بقوة التعبير

- عرفنا بفضله أهم ما يفكر فيه السجين و طبيعة مشاعره بين القساوة و الطيبة.

- هدفه الأول من الكتاب هو جعل القارئ يعيش التجربة كأنها واقع، و بالفعل أديب عظيم تبرز شخصيته في كل المواقف وفق في ذلك.

- تميز هذا الكتاب بتنوع موضوعاته، و قد بدى واضحا تأثير السجن على الكاتب في إنتقائها، حيث كتب عن:

الليلة الأولى في السجن، الأخلاق، الوقت، يوم الإفراج، الجريمة و العقاب...

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- المصادر:

1- عباس محمود العقاد ،عالم السدود والقيود،منشورات المكتبة العصرية بيروت لبنان

2- ديوان ابي الطيب المتنبي

- المراجع:

1- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، تحقيق و إشراف لجنة من الأدباء، بيروت، لبنان،ط 6، 1983، ج 15.

2 - إبراهيم الخليل ،مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث،دار الميسرة الاردن ط 1 ، 2003

3 - إمانويل كانط، ترجم و قدم له مع تعليقات فيكتور دالبوس، محمد قبحي الشنيطي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط2، 1969.

4 - حسن نعيسة ، شعراء وراء القضبان، دارالحائق للطباعة والنشر بيروت، لبنان ، ط1 ،1986

5 - سالم المعوش ،شعر السجون في الادب العربي الحديث ،دار النهضة العربية

6 - سليمان بن صالح الخوراشي (اعتنى بنشرها)و(قدم لها) عائض ابن عبد الله القرني ، المشاهير و السجون ، مجموعة مقالات قديمة نشرت في مجلة الهلال ،دار ابن الاثير السعودية ، ط1، 2003.

7 - صلاح الدين محمد عبد التواب، معجم الادباء، دراسة الكتب العلمية، بيروت لبنان ج3،دط،2003.

8 - طرفة بن العبد، الديوان ، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، بيروت.

9 - عبد المالك مرتاض ، نظرية القراءة دار الغرب للنشر والتوزيع.

10 - عباس محمود العقاد السيرة الذاتية (انا حياة القلم) دار الكتب اللبناني بيروت م 22 ، ط1 ، 1982.

11 - عمر بوقرورة دراسات في الشعر الجزائري الحديث جامعة باتنة، **ط1 ، 2001.**

12 - عماد علي الخطيب ، في الادب الحديث ونقلة ، جامعة العلوم الاسلامية العالمية ،ط1 ، 2009.

13 - كامل سليمان الجبوري معجم الادباء ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج3 ، دط ، 2003.

14 - مصطفى صادق الرافعي ، على السفود (عباس محمود العقاد) ، مقالات نشرت في مجلة العصور بين شهري يوليو 1992 وينار 1930 ، دار الكتب العلمية ، بيرقت ، لبنان ، د ط ، 1930.

15 - محمد سامي البارودي ، الديوان ، تحقيق وشرح علي الجارم محمد شفيق معروف ، دار العودة ، بيروت ، دط ، دت.

16 - محمود السمرة (العقاد دراسة ادبية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط1 ، 2004.

17 - محمد مندور ، النقد والنقاد المعاصرون ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ، 1997.

18 - محمد رجب البيومي، بين الأدب و النقد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997.

19 - محمد زغينة ، الأبعاد الموضوعية ، و الخصائص الفنية في سجيلات شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع ، قسنطينة 2009.

20 - مفدي زكرياء، اللهب المقدس الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

21 - يحيى الجبوري، محن الشعراء والادباء و ما اصابهم من التعذيب و السجن و القتل و البلاء ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،ط1، 2003.

22 – يوسف العايب، المتعاليات النصية في أدب السجون و المعتقلات في الجزائرمن1954-1962، جامعة باتنة، 2010/2009، (رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوره في الأدب العربي).

- المعاجم :

1 - أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، معجم لسان العرب ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ج7 ، ط1،1863.

2 - محي الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، معجم قاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج4، دط ،1952.

- المواقع الإلكترونية:

//www.stooob.com/318363.hlm:http

الملخص :

حينما نقرأ اشعار العرب نلمس في ثناياها ظاهرة السجن في كل عصر من العصور الأدبية، الأمر الذي جعلنا نقف عل أهم أسباب هذه الظاهرة و التى تطورت فيما بعد لتصبح مؤسسة عقابية لها ضوابطها، تلك الأشعار نقلت إلينا مختلف الموضوعات التي يمكن أن يعبر عنها المسجون كما لا يخفى على أحد أن للسجن دورا إيجابيا حيث يبرز مختلف المواهب المكبوتة داخل نفسية السجين و التي يمكن أن تتحول إلى إبداعات حقيقية و الجدير بالذكر أن العقاد كان من أبرز هؤلاء و قد تجلى ذلك في كتابه عالم السدود و القيود.

:Résumé

Quand nous lisons des poèmes Arabes nous voyons dans ses écrits le qui nous a fait phénomène de la prison à chaque époque des âges littéraires, qui a développé tenons sur les causes les plus importantes de ce phénomène, plus tard dans un établissement pénitentiaire avec des contrôles, ces poèmes cités à nous par les divers sujets qui peuvent être exprimées emprisonnés ne pas un secret qui un rôle positif pour la prison où met en évidence les différents talents accumulée à l'intérieur du détenu psychologique et qui peut se transformer en créations au fait Wa est à noter que Akkad était le plus important d'entre eux a été démontré dans son livre, le monde des barrages et des restrictions.

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ ب

مدخل: عباس محمود العقاد 04

نبذة عن حياته 04

العقاد قبل،أثناء السجن و بعده 06

آراء النقاد في أدب العقاد 08

الفصـل الأول: في أدب السجون 12

مفهوم السجن 12

السجن لغة 12

السجن اصطلاحا.....13

ظاهرة السجن في الأدب العربي (التطـور) 14

في العصر الجاهلي 14

في عصر صدر الإسلام و الأموي 15

في العصر العباسي 16

في العصر الحديث 17

موضوعات أدب السجون: 19

الشوق و الحنين 19

الأمل و الرجاء 20

الشكوى و التذمر 21

السجن فضاءا مكانيا 22

الفصـــل الثـــاني: دراسة موضوعاتية في الكتاب.....25

قراءة عامة في الكتاب، و سبب تأليفه 26

قراءة في موضوعات الكتاب 27

إلى قرى ميدان 27

الليلة الأولى في السجن 29

التهريب 30

القراءة 31

الأخلاق 32

ليلة المستشفى 34

أحمد حمزة 35

الوقت 37

يوم الإفراج 38

الجريمة و العقاب 39

بعض الإصلاح 39

الخاتـــــمة 42

قائمة المصادر والمراجع 43

الملخص